النذالة

قصص عبر التاريخ

بقلم

شاهيناز إسماعيل

دار العلوم
للنشر والتوزيع

النذالة – قصص عبر التاريخ
المؤلف: شاهيناز إسماعيل
الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٧
التنسيق الداخلي: رفعت حسن سيد
دار العلوم للنشر والتوزيع
ص. ب: ٢٠٢ محمد فريد ١١٥١٨
هاتف: ٠١١٤٤٧٦٤٠٠٠ ـ ٠١٠٦١١٦٠٩٨٨
الموقع الإلكتروني: www.darelloloom.com
البريد الإلكتروني: daralaloom@hotmail.com
Facebook.com/darelloloom
Twiter: @darelloloom
جميع الحقوق محفوظة...
رقم الإيداع: ٢٧٩٩٣/ ٢٠١٦
الترقيم الدولي: ٣ـ٥١٧ـ٣٨٠ـ٩٧٧ـ٩٧٨

دار العلوم للنشر والتوزيع

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار العلوم للنشر والتوزيع

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إسماعيل، شاهيناز
النذالة: قصص عبر التاريخ/ بقلم شاينهاز إسماعيل – القاهرة: دار العلوم للنشر، ٢٠١٧
١٥٤ص، ١سم
تدمك: ٣ ٥١٧ ٣٨٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١. القصص التاريخية. ٢. القصص العربية أ) العنوان ٨١٣.٠٨٧١
رقم الإيداع ٢٧٩٩٣ التاريخ: ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٦

إهْدَاء

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة

يعرض هذا الكتاب الكثير من قصص النذالة والخسة عبر العصور المختلفة التي صدرت من أناس معروفين، أو غير معروفين ، من مؤسسات ، أو من دول بعضها لأغراض وبعضها حين تتبدى النذالة كطبع أصيل . . . بما يدهش العقل ويحير الفكر ويرسم إبتسامة تأسي على هؤلاء الناس ومنهم، أحداث في الجاهلية ، واخرى بعد الإسلام وهذه في عهد العباسيين وأخرى في عهد محمد على نذالة من عرب وأخرى من أجانب ، ويستمر العرض والقص إلى وقتنا هذا . . بعضها قصص طريفة وأخرى مؤلمة وتلك القصص ليست على سبيل الحصر لصعوبة ذلك . . فمواقف النذالة كثيرة جداً منها ماوثق في كتب التاريخ ومنها ما لم يوثق ومنها ما روي على لسان أشخاص . . لكن في النهاية تظل مستحيلة الحصر

وبما أنني أتطرق للأفعال الخسيسة التي صدرت من بعض المشاهير أو الحكام عبر التاريخ فإنه جدير بالذكر أني هنا أرصد فقط مواضع النذالة في تاريخ حياتهم . . لا أحكم على صاحبها بأنه حاكم سيء أو شخص دائم النذالة فكلٌ له حسناته ومساوءه والحكم في النهاية لكم أنتم .

الفصل الأول

-١-

تعريف النذالة

النذالة أو مايسمونها في العامية المصرية (قلة أصل) هي كل فعل خسيس حقير يصدر عن فرد أو (جماعة) سواء بترتيب منه أو ناتج عن بعض الجبن بدءاً من التخلى وإلتزام السلبية في مواقف تتطلب المساعدة والعون . . والتيسيروالمساعدة في إيذاء شخص حقداً ورغبة في التسلى أو التشفى ، إلى إيذاءه بغرض الوصول لهدف معين تحمله الأنانية ويدفعه حب الذات كمحاولة إزاحة هذا الشخص لنيل منصبه أو حبيبته أو ماله أو أرضه . . مما يسبب ألم من انتظر منه العون أو من أوذى منه . وربما لم يدرك أن يتألم بسبب أنه مات كمداً وحزناً أو قتل من نذالة هذا الشخص . .

أما أقوى أنواع النذالة وأحطها من تصدر من شخص ضد شخص وثق به وقدم له المعروف قبل ذلك وأمن جانبه حتى فاجأه بالخديعة والغدر . أو تكون من شخص عزيز أوقريب أو حبيب

وقد نهى الإسلام عن النذالة بل وعاقب أصحابها كما سنرى

لأن أفعال النذالة لا يأتيها نبيل ذو شجاعة ومروءة وصدق وإخلاص لله وللناس

أقوال في النذالة

قيل :

الحر حر وإن تعدت عليه يد الزمان

والنذل نذل وإن تكنى وصار ذا منطق وشان

وقال الشاعر:

ولا تصاحب غير شهم يرى مقام عزة وافتخار
وجانبن كل نذل له صورة إنس وطبع حمار

ومما قيل:

حابِ الصديقَ ببيعه فالغُبن من فعل اللئيم
غُبن الصديق نذالة لا يرتضي فيها الكريم

وقال الشاعر العامى:

النذل ميت حـــــى* ما حد يحسب حسابه**
طعمه كالترمس النى* حضوره يشبه غيابه**

نذالة الحيوانات

وهل هناك نذالة عند الحيوانات؟ نعم توجد النذالة المضحكة في بعض الحيوانات فهناك طائر البطريق الهادئ الجميل الذى نحبه جميعا، يعيش هذا الطائر ويتحرك في مجموعات كبيرة ويتجول على الثلوج في مرتفعات ومنخفضات ،وحين تشرف المجموعة على بحيرة ترغب في النزول إلى الماء للغوص وصيد الأسماك لكنها تتردد خوفا من وجود سمك القرش أو غيرها وأنه سيفترسها بمجرد نزولها إلى البحيرة، فتختبر البطاريق ذلك بتحريك أجنحتها تضرب الهواء بقوة ، فتعمل ضربات الأجنحة على تحريك ذبذبات الهواء فيسقط أحد البطاريق الذى يقف على حافة البحيرة فينظر باقي البطاريق إذا ظهر مرة أخرى فالطريق أمان والبحيرة خالية من المخاطر وإذا لم يظهر فالله يرحمه أخذ الشر وراح .

طائر العقعق

هذا الطائر حين يضع البيض لا يكلف نفسه عناء بناء العش وإطعام الصغير مثل باقى الطيور لكنه يضع بيضته في عش آخر أثناء غياب صاحب العش تضعها الأم مع بيض يشبهها وفي الغالب تفقص بيضة طائر العقعق قبل باقي الطيور فيقوم صغير العقعق بنذالة أخرى فيدفع البيض بيضة تلو الأخرى بصعوبة بالغة ويوقعها على الأرض حتى يخلو له العش وحده وتأتى الأم والأب فيطعمانه ويرعيانه، ورغم كبر حجمه واختلاف شكله عنهما لا يدركان أنه ليس بصغيرهما أو لعلهما يدركا ويرضيان به.

الأسد

حينما يكون هناك أسد قوى وليس له أسرة يذهب إلى أسد أخر لديه زوجة وأولاد وعرين ويكون في الغالب أكبر سنا وأضعف فيهاجمه ويقاتله قتالاً شرسا ويستبسل الآخر في الدفاع عن أسرته فإما يهرب الأسد المتعدى من أمامه وإما يهزمه ويقتله وحينها يبدأ في قتل أشباله واحدا تلو الآخر أمام أعين أمهم التي تسلم نفسها له ليكون زوجًا لها وتتبعه دون أية مقاومة وتكون معه أسرة جديدة.

******

-٢-

أخوة يوسف

لا يمكن أن نذكر النذالة دون أن نذكر أخوة يوسف فهاهم بعد أن كبرو وأصبحوا رجال يغارون من يوسف وينكرون عليه أن يأخذ حظه هو الآخر من تدليل أبيه وحبه وحنانه مثلما أخذو وهم صغارا فيدبرون له كما علمنا من القصص القرآنى ويغرونه

بالذهاب معهم إلى المرعي للعب واللهو كما يستأذنون والدهم فيبدى مخاوفه أن يأكله الذئب وهم غافلون فيكذبون ويطمئنون والدهم ويقسمون أنهم سيحافظون عليه بينما هم يضمرون له الشر ويخططون للتخلص من أخيهم الطفل بل ويخدعون أبيهم ويقنعونه بالمجادلة والمنطق أنهم سيحافظون عليه حين قالوا (لإن أكله الذئب ونحن عصبه إنا إذن لخاسرون)

فيطمئن الصغير ويذهب للعب ممنى نفسه بيوم جميل في البرارى ويطمئن الأب ويذهب الأخوة الكبار إحدى عشر رجلاً فيخلعون قميص يوسف ثم يفاجأ الصغير بإخوته الكبار يقيدونه بالحبال وينزلونه إلى قعر بئر مظلمة جافة لا يوجد بها إلا بعض الماء (يالا النذالة) ويلقون الدماء الكاذبة على قميصه ويذهبون لأبيهم يبكون ويمثلون الحزن مدعين أن الذئب قد أكل أخيهم يوسف، فيحزن الأب ويعرف كذبتهم ومكرهم ويبكى ولده الذى حرم من رؤيته إلى أن أصابه العمى أما الطفل فظل في البئر لأكثر من يومين ظلمة ووحشة وجوع في باطن بئر في صحراء جرداء. ثم حرمان من أبوه الذى يحبه ويدللة وحرمان من بيئته التي تربى فيها وإحساسه أنه مكروه من إخوته وأنهم فعلوا به هذا الغدر بمنتهى القسوة والنذالة يومان دون أن يتحرك قلب أحدهم إشفاقا على أخيهم الصغير الملقى في قعر بئر فيراجع نفسه ويذهب لإنقاذه. . . ونحن جميعا نعرف باقى القصة وكيف أنقذه الله وأصبح في مكانة عالية بمصر. وجأوا إخوته إليه يستدرون عطفه ويتسولون منه حين أصابهم القحط ولما عرفوه قالوا: والله لقد آثرك الله علينا.

******

نذالة قبل الأسلام

كان الوضع في الجزيرة العربية قبل الإسلام يوضح أنها قبائل متفرقة، حيث لا توجد دولة وقوانين تنظم حياة الناس، قبائل لا يجمعها كيان، تتصارع وتتقاتل، وتُغير

على بعضها البعض، وكان الناس لايأمنون على أنفسهم أو أموالهم فقد يصحو الفرد ليلاً مذعوراً وقد أغارت قبيلة أخرى على قبيلته فقتلت الرجال وسبت النساء وأخذت الأطفال عبيداً واستولوا على الأموال والغلال ، أو يسافر في الطريق فيقطعون طريقه قطاع الطرق يسرقون ماله أو نسائه وعياله مثلما حدث مع زيد بن حارثة، كانت أمه قد أخذته وخرجت للسفر لزيارة أعمامه. فخُطف منها في الطريق، وبِيع في سوق العبيد حيث اشتراه عم السيدة خديجة، الذي باعه للسيدة خديجة، التي باعته للنبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه النبي وسمّاه زيد بن محمد.

وكان هذا أمراًعاديًا في ذلك الزمان. لدرجة أن الشاعر العربي القديم يقول: "ونعتدي على بكر أخينا إن لم نجد إلا أخانا." فهو يتفاخر بأن قبيلته إذا لم تجد من يعتدون عليه، إعتدوا على إخوانهم وحلفائهم، ماعدا قبيلة قريش التي كانت آمنه من تلك الغارات لأنها كانت تعيش في مكة وكانت مسئولة عن الحرم المكى

وكانت القبائل العربية في حروبهم التي كانت تشتعل لأتفه الأسباب تستعين بالفرس والروم ضد بنى جلدتهم حتى وصل الأمر لأن تكون هناك قبائل عربية تابعة ومواليه للروم وقبائل أخرى تابعة وموالية للفرس كما سنرى.

بعض قصص النذالة في ذلك الوقت

في القرن الثالث الميلادى بدأت قبائل عربية تكبر شوكتها وتقوي لتحتل مكانة كبيرة وتتميز بحكم ذاتى فكانت دولة المناذرة في العراق (الحيرة) والتى كانت تحت لواء الفرس، دولة الغساسنة في الشام تحت لواء الروم ودولة كندة في نجد

كان الحارث بن جبلة الغسانى ملك الغساسنة وكان حُجر بن الحارث الكندى الملقب بآكل المرارة ملك كندة وكان االمنذر بن ماء السماء (نسبة الى أمه) ملك المناذرة

طمع المنذر بن ماء السماء في أن يكون ملك العرب وليس المناذرة فقط ففكر في حيلة لإسقاط مملكة كندة أولاً ثم الاتجاه الى مملكة الغساسنة ، فرأى أن قبيلة بنى أسد تريد الإنفصال عن مملكة كندة وخاصة بعد أن سجنهم حُجر الكندى لإمتناعهم عن دفع الجزية ثم أطلق سراحهم بعد أن تعهدوا بإعطائه الجزية .

قام جنود المنذر بأسر أقارب الملك حُجر الكندى وأقتادوهم إليه فلما رآهم أمر بقتلهم جميعًا

أتفق المنذر ملك المناذرة مع الشاعر عبيد بن الأبرص وكان من قبيلة بنى أسد على خطة للقضاء على حُجر الكندى ملك كندة فأعدو له وليمة ووعدوه بدفع الجزية حين يحضر وحضر الملك الكِندى مطمئنا واثقًا بهم ولم يظن لحظة أنهم سيغدروا به في ديارهم لكنهم قاموا إليه فقتلوه ولما علم ابنه إمرؤ القيس (الشاعر المعروف) حاول الثأر منهم وبالفعل حارب وهزم قبيلة بنى أسد لكنه لم يستطع أن يسترد ملك والده فسقطت مملكة كندة وأصبحت تابعة لمملكة المناذرة وأصبحت قبيلة أسد تؤدى الجزية التي كانت تدفعها لحُجر الكندى إلى المنذر بن ماء السماء

أما الشاعر عبيد بن الأبرص فقد نال جزاء نذالته وممن؟ من المنذر بن ماء السماء نفسه الذى ساعده على التخلص من حجر الكندى ملك كنده فقد كان للمنذر يوم سعد ويوم نحس في العام فكان يكرم أول من يراه في يوم السعد وكان يقتل أول من يراه في يوم النحس وكان الشاعر عبيد بن الأبرص أول من رآه المنذر في أحد أيام النحس فأمر بضرب عنقه

أما المنذر بن ماء السماء

فقد هُزم وقُتل في معركته مع الغساسنة (معركة عين أباغ عام ٥٥٤ م

******

الفرس والروم

في عام ٥٧٠ الميلادي الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قال مؤرخو أوروبا إن العالم كانت تسيطر عليه إمبراطوريتان عظيمتان هما الفرس والروم، وكل إمبراطورية كانت تسيطر تقريبًا على نصف العالم.

"**الروم**":

كانت الروم دولة استعمارية كبيرة، شديدة الظلم كان هناك أبشع أنواع الاضطهاد العرقي، أدت الضرائب الباهظة والأتاوات التي فرضتها الإمبراطورية إلى فقر شديد لكل الشعوب التي تحكمها الإمبراطورية وثراء رهيب للجنس

الروماني المحتل، وكانت الشام ومصر خاضعتين لحكم هذه الإمبراطورية، .

كان هناك تفاوت طبقي رهيب وصراع بين طبقة الرومان العليا المحتله وبين طبقة الشعوب الفقيرة وقد حدث خلال الثورة في عهد جستين الأول عام ٥٣٢م قتال وحشي سقط فيه ٣٠ ألف قتيل في القسطنطينية في يوم واحد، ويقول المؤرخون إن مصر كانت أشقى بلاد العالم آنذاك بسبب الضرائب والإذلال وأيضا الإضطهاد الديني حيث كان مذهب نصارى مصر والشام يختلف عن عقيدة الرومان الذين وصل بهم الأمر للسجود لقيصر الروم، وكان مصير زعماء الأقباط في مصر إما القتل أو النفي أو السجن فكانوا يختبئون في أماكن لا يعرفها الرومان ثم يبدأون في مراسلة خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ليرسل لهم من يفتح مصر وينقذهم من ويلات الحكم الرومانى كما كان يرجوا قدومهم كل المصريين ولهذا السبب فتح عمرو بن العاص مصر بأربعة آلاف جندي فقط، حيث أعانه المصريون على الرومان

كانت الشعوب المحتلة من قبل الرومان تعانى من وحشيتهم وإنحلالهم الأخلاقى وعبثهم إذ بلغ بهم الترف واللهو بالشعوب وبالناس حد أنهم كانو يتسلون بلعبة

رياضية ينشئون فيها ميادين للرياضة يتسع الواحد منها لثمانين ألف متفرج ثم يقيمون مباراة للمصارعة تنتهى بقتل أحد المتصارعين وأحيانا تقوم المصارعة بين رجل وأسد أو نمر تنتهى أيضا بقتل أحدهما الآخر واستمدت من تلك اللعبه لعبة مصارعة الثيران في أسبانيا والتى يعرف فيها الاعب كيف يخدع الثور ويرديه قتيلا في النهاية، أما المرأة في عهد الرومان فكانت كالجماد أو الحيوان يستخدمونها لمتعتهم فقط

"**الفرس**":

كان الفرس يفعلون في إمبراطوريتهم نفس ما كان يطبقه الرومان من ظلم شديد، ضرائب باهظة، إتاوات، وكانوا يقسمون المجتمع رسميًا إلى طبقات. . طبقة الملوك الأكاسرة، وطبقة الكهنة ثم باقي طبقات الشعب المقهورة.

وكان الملك الفارسي يُخاطب بلفظ الإله. ويُذكر أن "يزدجر " آخر ملوك الفرس حين فرّ من عاصمته أمام فتح المسلمين لبلاده، أخذ معه ألفًا من حاشيته من الطهاة والمغنين ومدربي النمور والأسود والخدم، عدد كبير جدا لكنه كان يبكي لقلة الحاشية المصاحبة له.

وكان الفرس المجوس يعبدون النار التي يشعلونها ثم يطفئونها، ثم قرروا عدم إطفائها بعمل نوبتجيات في المعابد لإستمرار إشتعالها، كذلك أحل الفرس زواج المحارم، حتى أن يزدجر الثاني تزوج أخته ثم قتلها، وكانوا يظنون أن في عروق الأكاسرة (ملوك الفرس) يجري دم إلهي. . وكان للملوك والكهنة حق في أموال الشعب ونسائه. وكانت أيضا شعوبهم تعانى من توحشهم وانحلالهم الاخلاقى وشهواتهم المستعرة للقتل والتعذيب والزنا وغيرها

أما أوربا فكانت ينتشر بها الجهل والأمية والحروب المستمرة لأسباب تافهه وكانت رؤسهم مليئة بالخرافات والأساطير فهذا إله الحب وذاك إله القوة وهذا إله الحرب وذاك

إله السلام ووصل بهم التخلف والجهل إلى تحريم الإستحمام لأنه يجلب الأمراض ويؤذى الآلهه وبلغت نذالتهم في التعامل مع المرأة إلى عدم توريثها كما أنه لم يكن هناك عدد محدود من الزوجات فالتعدد كان بلا حدود

ويقول مؤلف كتاب "تاريخ الأخلاق الأوربية "المؤرخ الشهير ويلز : أن أوربا آن ذاك كانت مثل جثة رجل ضخم مات وتعفنت جثته .

******

ـ٣ـ

يهود بنى قريظة

فى السنة الخامسة من الهجرة اتفق كثير من القبائل أن يتحدوا فيما بينهم ويحاصروا المدينة المنورة ويحاربون محمد ويقضون على الاسلام من جزوره، وكانت هذه القبائل هى قريش ، وغطفان ، وأشجع، وأسد، وفرازة، وبنى سليم وقام المسلمون بحفر خندق شمال المدينة لمنعهم من الدخول وصل الأحزاب إلى المدينة فلم يستطيعون دخولها وقاموا بحصار المدينة المنورة بعشرة الآف مقاتل بينما كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل . .وبحسب المعاهدة المبرمة بين الرسول صل الله عليه وسلم وبنى قريظة كان لابد من انضمامهم لجيش المسلمين للدفاع عن المدينة لكنهم تنكروا لهذه المعاهدة وبدأوا بمناصرة جيوش الأحزاب ودعمهم وتأييدهم ، وما أن علم النبى بهذه الخيانة حتى أرسل لهم كل من سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج ، وعبد الله بن رواحه ، وخوات بن جبير ليستكشفوا الأمر ويذكرونهم بعهدهم مع رسول الله لكنهم انكروا المعاهدة وقالوا : من رسول الله ؟ ليس بيننا وبينه عهد. ثم تحول تأييدهم من الكلام إلى الفعل حيث أخذوا يمدون جيوش الاحزاب بالأسلحة وبالمال والمعلومات اللازمة عن جيش المسلمين. . دام حصار الأحزاب للمسلمين فى المدينة ثلاثة اسابيع

حتى دب الخلاف بين القبائل ثم هبت عليهم عاصفة باردة شديدة اقتلعت خيامهم وشتتهم فاضطروا للرحيل وشكر النبى والمسلمين لله فضله ومنته

ثم اتجه النبى صل الله عليه وسلم والمسلمين لتأديب يهود بنى قريظة جزاء نذالتهم وخيانتهم للعهد فحاصروهم مدة خمسة وعشرين يوما حتى استسلموا والقوا أسلحتهم ، فأوكل النبى أمرهم لسعد بن معاذ كان حليفهم فى الجاهلية وهو من توسط لهم عند النبى ليذهب إليهم ويحاول إثنائهم عن خيانتهم وغدرهم . . ولذلك ارتاح الي هود لإختيار سعد ظنا منهم انه يمكن أن يتعاطف معهم او يجاملهم لكن سعد قال : "لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم" ثم حكم بأعدام رجالهم (المقاتلين فقط)وسبى نسائهم وأولادهم وأموالهم . فقال النبى صل الله عليه وسلم : " حكمت فيهم بحكم الله الذى حكم به فوق سبع سماوات .

يقول محمود شاكر شاكر فى كتابه التاريخ الإسلامى :

(لما رأو بنى قريظة المسلمين دخلوا حصونهم واعتصموا بها ، ودخل معهم حيي بن أخطب سيد بنى النضير ، وحاصرهم رسول الله خمسة وعشرين ليله ، فلما طال عليهم الحصار ، ورأوا أنهم سيموتون جوعا إن استمر ، قال لهم سيدهم كعب بن أسد : يامعشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارض عليكم خلالًا ثلاث ، فخذوا أيها شئتم ؛ قالوا : ماهى؟ قال : نتبع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم ، وأموالكم ، وأبنائكم ، ونسائكم ؛ قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدًا ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال فأذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالًا مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلًا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك ، نهلك ولم نترك وراءنا نسلًا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء ؛ قالوا : نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتهم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ،

وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة؛ قالوا: نفسد سبتنا علينا ونُحدث فيه مالم يُحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابهم ما لم يخف عليك من المسخ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا)

ويقول (هدد المسلمون بنى قريظة باقتحام الحصون عليهم إن لم يسرعوا فى التسليم . . . . فأعلن بنو قريظة استسلامهم، وفتحوا أبواب حصونهم وألقوا سلاحهم، وخرجوا . فأمر رسول الله أن توضع القيود فى أيدى الرجال، ويعزلوا فى جانب بإشراف محمد بن مسلمة ، ثم نقلوا إلى المدينة حيث سجنوا فى دار اسامة بن زيد . أما النساء والأطفال فقد عزلوا فى جانب آخر، . . . . . وكان عدد الرجال تسعمائة مقاتل ، والنساء والأطفال يقاربون ذلك أو يزيدون قليلا وقد يصلون الى الألف. . . . . قال رسول الله صل الله عليه وسلم : أحكم فيهم ياسعد فقال: الله ورسوله أحق بالحكم، فقال عليه الصلاة والسلام: قد أمرك الله أن تحكم فيهم . فوقف سعد واتجه إلى الأوس خاصة وإلى من فى المعسكر عامة ، وقال : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت ؟ قالوا : نعم ، ثم اتجه إلى الجهه التى فيها رسول الله صل الله عليه وسلم وهو مطرق رأسة إجلالًا لرسول الله وإكبارًا وقال : وعلى من هنا ؟ وأشار بيده إلى جهة رسول الله فقال نبى الله (ص) : "نعم" ، ثم اتجه إلى بنى قريظة المسجونين فقال لهم : أترضون بحكمى؟ فقالوا: نعم . . . . فقال : أحكم فى بنى قريظة أن تقتل الرجال، وتسبى النساء، وأن تكون أموالهم غنيمة للمحاصرين لهم من المسلمين، وأن تكون ديارهم كلها للمهاجرين دون الأنصار فقال رسول الله صل الله عليه وسلم لسعد: " لقد حكمت فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات" ثم أمر رسول الله صل الله عليه وسلم بحفر خنادق فى سوق المدينة ، وضربت أعناق بنى قريظة جماعات جماعات ، وألقيت جثثهم فى الخندق، وكانوا إثر

قتل كل جماعة يوارون جثثهم بالتراب . وكان بين القتلى إمرأة واحدة اسمها (مزنة) قتلت خلاد بن سويد بحجر طاحون من فوق الحصن ، وكان يستظل فى ظل الحصن أثناء الحصار ، فعدت بين المقاتلين وقُتلت .) محمود شاكر شاكر التاريخ الاسلامى

******

العرنيين:

العرنيون أناس من قبيلة عرينة ، وأما قصتهم أنهم أتو المدينة فأسلموا وآواهم رسول الله صل الله عليه وسلم وأطعمهم فأصابهم داء في بطونهم –داء الإستسقاء- فأنزلهم صل الله عليه وسلم " الحرة " فى طائفة من إبل الصدقة وأمرهم أن يشربو من أبوالها وألبانها فلما صحوا وسمنوا ورجعت لهم عافيتهم إرتدوا عن الإسلام وسملوا عين الراعى (فقأوها) ثم قتلوه وساقوا الإبل إلى ديارهم ، فبعث النبي صل الله عليه وسلم في آثارهم فقُطعت أيديهم وأرجلهم وسُمِلت أعينهم .

******

الفصل الثانى

ـ ١ ـ

مقتل عثمان:

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه أحد الصحابة وأحد المبشرين بالجنة وزوج ابنتى رسول الله صل الله عليه وسلم واحدة تلو الأخرى وثالث الخلفاء الراشدين وكان شيخًا كبيرًا قد تخطى السبعين عامًا فلم تشفع له عند قاتليه مكانته أو شيخوخته ، فقتلوا ولي أمرهم وخليفة المسلمين

في عام ٣٣هجرية بعد أن خرج عبد الله بن سبأ وكان يهوديًا إعتنق الإسلام- أو لعله تظاهر بذلك – ذهب إلى مصر وألب الناس على عثمان وأخبرهم أن الرسول قد أوصى بالخلافة لعلى بن أبى طالب وقال : أن محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء

افتتن بهذا المذهب كثير من الناس في مصر وأرسلوه إلى أهل الكوفة والبصرة افتتن الناس أيضا بهذا المذهب وصدقوه وبدأ بعض من أهل الكوفة يتكلمون بهذا الكلام ويرددونه بل ويسبون عثمان ، علم عثمان رضي الله عنه فأمر بإخراجهم إلى الشام عند معاوية لوعظهم ثم خرجت جماعة من الكوفة تؤلب الناس على عثمان فأمر بإخراجهم إيضا للشام للوعظ والنصح . .

وفى عام ٣٥ هجرية تكاتب أهل مصر والكوفة والبصرة وزورت رسائل على لسان الصحابه يدعون إلى قتال عثمان وكان أهل مصر يريدون ولاية علي بن أبى طالب

وأهل الكوفه يريدون ولاية الزبير

وأهل البصرة يريدون ولاية طلحه

فذهب أهل مصر إلى على يطالبوه بأن يولى نفسه وأنهم سيبايعونه ويأخذون البيعة له ويطالبونه بقتال عثمان فنهرهم وصرخ فيهم وطردهم وكذلك فعل الزبير مع أهل الكوفة وطلحة مع أهل البصرة

تظاهر هؤلاء الأحزاب بالرجوع إلى بلادهم ولكنهم وجدوا رسالة مزورة مع رجل على لسان عثمان يأمر بقتلهم – أو لعلهم يدعون ذلك – ولما سُئل عثمان عن هذه الرسالة أجاب " والله لا كتبت ولا أمليت " فرجعوا إلى المدينة وبدأو حصار دار عثمان وكانو فوق الألفى رجل فخرج عثمان فيهم ودافع عن نفسه بالحجة والبيان ولكنهم منعوا عنه الماء والميرة ومنعوه من الخروج إلى المسجد

واستمر الحصار حوالى ٤٠ يوما ، بعدها دخلوا عليه البيت وكان يصلى بسورة طه ثم فرغ من صلاته وجلس يقرأ القرآن فدخل عليه رجل يدعى الموت الأسود فخنقه حتى أغشى عليه ثم تقدم آخر يدعى سودان بن حمران فطعنه بالسيف في بطنه وضُرِبت زوجته حتى أنها فقدت اصابع إحدى يديها بضربة سيف وهى تحاول الدفاع عنه فجاء غلام عثمان فقتل سودان وجاء رجل آخر فقتل غلام عثمان ثم نهبوا البيت ولاذوا بالفرار وكان ذلك يوم الجمعة ١٨ / ١٢/ ٣٥ هجرية

******

شيعة علي:

بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه آلت الخلافه لإبنه الحسن بن على مدة ستة أشهر وكان إختيار الخليفه يتم بأمر الشورى حيث يتشاور كبار رجال العلم والدين والفقهاء ويختارون من يثقون في خلقه وعلمه وورعة للخلافة ثم تتم أخذ البيعه له في المساجد من عامة الناس حيث يتم الإتفاق عليه من معظم المسلمين ولما كان لمعاويه سلطان على مصر والشام وكانت معه القوة .

فضل الحسن التنازل له عن الحكم ومبايعته حقنا لدماء المسلمين ورغبة في توحيد الكلمة ووحدة الصف بعد سلسلة من الصراعات والمعارك التي أودت بدماء الكثير من المسلمين والتى كان ابرزها معركة صفين وقد أثنى الكثيرين على هذه المبادرة وسمى العام (بعام الجماعة) كما بايع ايضا الحسين معاويه بن ابى سفيان وعاشا في المدينة المنورة وكانا يذهبان لزيارة معاوية في قصره فيكرم ضيافتهما . وقيل أنهما اتفقا مع معاوية على عودة الخلافة بعد وفاته لنظام الشورى بين المسلمين وبعد وفاة سيدنا الحسن رأي معاوية بن أبى سفيان أن يورث الحكم لابنه يزيد فجعل يأخذ له البيعة وهو حى من كثير من الولايات مرة بالترغيب ومرة بالتهديد مما أثار حفيظة كثير من المسلمين واستنكارهم لهذا الفعل ..

توفي معاوية وأرسل يزيد إلى والى المدينة المنورة يطلب البيعة من أهلها فرفض الحسين مبايعة يزيد بن معاوية ومعه جمع من المسلمين وذهب فاعتصم بمكة المكرمة

وصلت أنباء رفض الحسين مبايعة يزيد واعتصامه في مكة إلى الكوفة عاصمة الخلافة وكان بها الكثير من المؤيدين لعلى بن طالب وأبناءه فبرزت تيارات في الكوفة تؤمن أن الفرصة قد حانت لأن يتولى الخلافة الحسين بن علي واتفقوا على أن يكتبوا للحسين يحثونه على القدوم إليهم، ليسلموا له الأمر، ويبايعوه بالخلافة . بعد تلقيه العديد من الرسائل من أهل الكوفة قرر الحسين أن يستطلع الأمر فقام بإرسال ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليكشف له حقيقة الأمر . عندما وصل مسلم إلى الكوفة شعر بجو من التأييد لفكرة خلافة الحسين بن علي ومعارضة لخلافة يزيد بن معاوية حتى وصل عدد المبايعين للحسين ١٨,٠٠٠ شخص ليكون الخليفة وقام مسلم بإرسال رسالة إلى الحسين يعجل فيها قدومه

وصلت الاخبار إلى يزيد بن معاويه فقام بعزل النعمان بـن بشـير والى الكوفـة وولى عليها عبيد الله بن زياد الذى أمر بضرب عنق مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة الذى كـان يأخذ البيعة في داره

اما الحسين رضى الله عنه فكان قد خرج من المدينه مولى وجهه إلى بغداد وفى الطريق علم بما حدث وبمقتل مسلم بن عقيل حينهـا أرسـل رسـول إلى اهـل الكوفـة يـذكرهم بوعودهم ورسائلهم التي أرسلوها له ويطلب منهم التأييد فقتلوا رسوله وأنكـروا أنهـم أرسلو له يؤيدونه فقال الحسين : خذلتنا شيعتنا . . وهذا سبب لطمهـم ونـدمهم إلى الآن على مافعل اجدادهم ثم توجه الحسين إلى منطقة تسمى كربلاء . رفض أقارب مسلم بن عقيل الرجوع دون الأخذ بثأره أو الموت دون ذلك .

وفى يوم عاشوراء من العام الهجرى الواحد والستون التقـى الجيشـان جـيش زيـاد الذى كان قرابة أربعة اللاف مقاتل وجيش الحسـين الـذى كـان تعـداده إثنـان وثلاثـون راكبا وأربعون راجلا وفى بدايـة المعركـة كانـت الغلبـة لجـيش الحسـين حيـث حـاربوا باستبسال وشجاعة وتفانوا في الدفاع عنه حتى رمى الرماه خيل الحسين فعقروهـا وحمـل الرجال على الحسين فطعنه سنان بن أبى عمر النخعى بالرمح فوقع أرضا فـاحتز رأسـه وأرسل بها إلى يزيد بن معاوية وقتل جميع الرجال المقـاتلين والأطفـال والصـبيان مـن ال بيت النبى ولم ينج من القتل إلا "على زين العابدين الحسين" ليحفظ نسل أبيه

******

واقعة الحرة :

في عام ٦٢ هجرية قدم وفد من المدينة إلى يزيـد بـن معاويـة ووجـدوا منـه بعـض المجون كشرب الخمر واللهو فرجعوا الى المدينة وقاموا بخلع يزيـد ومبايعـة عبـد الله بـن حنظلة بينما مكة كانت لا تزال تضج بثورة عبد الله بن الزبير

وفى عام ٦٣ هجرية حدثت واقعة الحرة حيث أرسل يزيد بمسلم بن عقبه المزنى إلى المدينة فاقتتل مع أهلها وهزمهم فأباح فيهم القتل والفساد وارتكاب الفواحش ثلاث أيام ولهذا سمى (مسرف بن عقبه) لإسرافه في الفتك بأهل المدينة وسميت هذه المعركة بمعركة الحرة ثم مات عقبه بعد هذه المعركة بفترة وجيزة.

وفى عام ٦٤ توجه جند الأمويين بقيادة نمير بن حصين إلى مكة لإخماد ثورة عبد الله بن الزبير في مكة فقاتلوا أهلها ثم نصبوا المنجنيق ورموا مكة بها فاحترق جدار الكعبة واستمر حصار مكة حتى وصل خبر وفاة يزيد بن معاوية

******

- ٣-

الحجاج بن يوسف الثقفى:

كان الحجاج بن يوسف أحد قادة بنى أمية وظل يبلى بلاءًا حسنًا حتى قلده عبد الملك بن مروان قيادة الجيش وأمره بقتال عبد الله بن الزبير الذى كانت ثورته مستمرة في مكة ضد حكم الأمويين فتحرك بجيش كبير عام ٧٣ هجرية فقتل عبد الله بن الزبير وهزمه هو وأصحابه وفرق جمعهم فمنحه عبد الملك ولاية مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليها العراق فأخمد ثورتهم أيضا واشتهر بأنه كان سفاحًا سفاكًا للدماء ملأ الأرض رعبًا منه ورهبة من بطشه وشره وأطلق عليه الأمويين لقب " سيف بنى أمية " .

أرسل الحجاج القائد عبد الرحمن بن الأشعث لبعض الغزوات فاختلف معه وطلب من جنده مؤازرته في الثورة على الحجاج وقتاله فبايعوه وقاتل فاستولى على عدة مدن وهزم جيش الحجاج وأيده الناس الذين أعياهم ظلم الحجاج وبطشه حتى وصل إلى الكوفة فكانت الغلبة لجيش الحجاج فهرب عبد الرحمن الأشعث واستسلم الجنود ومن

الناس الذين وقفوا مع عبد الرحمن وأيدوه في ثورته على الحجاج كان الإمام والفقيه الشيخ سعيد بن جبير وكان من الأئمة التابعين حفظة كتاب الله ومن العلماء والفقهاء الذين يأتى إليهم طلاب العلم من هنا وهناك .

أمرالحجاج أن ينادي في المقاتلين المهزومين وفى الناس الذين أيدوا عبد الرحمن ابن الأشعث ، وأن يدعوهم لتجديد بيعته ، فأستجاب أكثرهم له ، واختفى بعضهم عنه ، ومنهم سعيد بن جبير ، فلما أخذ المسلمون يتقدمون لبيعته فوجئوا ، بأن الحجاج يسأل الواحد منهم : (أتشهد على نفسك بأنك قد كفرت بنقض بيعتك لوالي أمير المؤمنين؟ ، فإن قال : نعم ، قَبِلَ منه تجديد بيعته ، وأطلق سراحه ، وإن قال : لا ، قتله ، فكان بعضهم يخضع له ، ويشهد على نفسه بالكفر ، لينقذ نفسه مِن القتل ، وكان بعضهم الآخر ، يستكبر ذلك ويستنكره ، فيدفع رقبته ثمنًا لذلك . ولم يسلم من مكره هذا وجوره حتى العجائز

فقد كان هناك شيخا معمرًا من قبيلة خثعم ، كان معتزلاً للفريقين أثناء الحرب وكان مقيما وراء الفرات سيق إلى الحجاج مع من سيقوا إليه ، فلما أُدخل عليه سأله الحجاج عن حاله فقال : كنتُ منتظرًا مايسفر عنه القتال فلما ظفرت أتيتك مبايعًا فقال : تبا لك أتقعد متربصًا ولا تقاتل مع أميرك ثم زجره وقال : أتشهد على نفسك بأنك كافر؟ فقال : بئس الرجل أنا ، إن كنت عبدت الله ثمانين عاما ثم أشهد بعد ذلك على نفسى بالكفر .

فقال له : إذا أقتلك ، قال : وإن قتلتني ، فوالله ما بقي من عمري إلا ظمأ حمار ، (أى وقت قصير لأن الحمار يظمأ سريعًا) وإني لأنتظر الموت صباحًا ومساءً ، فافعل ما بدا لك ، فقال الحجاج لجلاده : إضرب عنقه ، فضرب الجلاد عنقه .

أما سعيد بن جبير فخرج من العراق واختبأ في قرية صغيرة في مكة وظل مختفيًا فيها عشر أعوام وأهل مكه يحبونه ويخفونه فلا يغدرون به أو يبلغون عن مكانه ثم جاء إلى مكة والى جديد من ولاة بنى أمية وهو خالد بن عبد الله القسرى فما أن علم بمكانه حتى أرسل بعض جنده فقبضوا عليه وسيق إلى الحجاج في مدينة "واسط" الذى كان قد بناها واتخذها مقرا له

فلما أدخلوه على الحجاج نظر إليه في حقد وقال: ماسمك

قال: سعيد بن جبير

قال: بل شقى بن كسير

قال بل كانت أمى أعلم بإسمى

قال: ما تقول في محمد؟

قال: تعني محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه،

قال: نعم،

قال: سيد ولد آدم، النبي المصطفى، خير من بقي من البشر، وخير من مضى، حمل الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح لله، ولكتابه، ولعامة المسلمين، وخاصتهم

قال: فما تقول في أبي بكر؟

قال: هو الصديق خليفة رسول الله، ذهب حميداً، وعاش سعيداً، ومضى على منهاج النبي صلوات الله وسلامه عليه، لم يغير، ولم يبدل

قال: فما تقول في عمر؟

قال: هو الفاروق الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، وخيرةَ الله من خلقه، وخيرةَ رسوله، ولقد مضى على منهاج صاحبيه

فعاش حميداً، وقتل شهيداً

قال: فما تقول في عثمان؟

قال: هو المجهِّزُ لجيش العسرة، الحافرُ لبئر رومة، المشتري لبيت لنفسه في الجنة، صهر رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ابنتيه، ولقد زوَّجه النبي بوحي من السماء، وهو المقتول ظلمًا

قال: فما تقول في عليٍّ؟

قال: ابن عم رسول الله، وأول من أسلم من الفتيان، وهو زوج فاطمة البتول، وأبو الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة.

قال: فأي خلفاء بني أمية أعجب لك؟

قال: أرضاهم لخالقهم

قال: فأيُّهم أرضى للخالق؟

قال: علمُ ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم

قال: فما تقول فى؟

قال: أنت أعلم بنفسك

قال: بل أريد علمك أنت

قال: إذن يسوءك ولا يسرك

قال: لا بد أن أسمع منك

قال : إنى أعلم أنك مخالف لكتاب الله تقدم على أمور تريد منها الهيبة وهى تقحمك الهلكة وتدفعك إلى النار دفعًا

قال : أما والله لأقتلنك

قال : إذا تفسد على دنياى وأفسد عليك آخرتك

قال : أختر لنفسك أى قتلة شئت

قال : بل أخترها أنت لنفسك ياحجاج ، فوالله ماتقتلنى قتلة إلا وقتلك الله بها في الآخرة

قال : أتريد العفو عنك

قال : إن كان العفو فمن الله تعالى ، أما أنت فلا أريده منك . فاغتاظ الحجاج وقال السيف والنطع ياغلام فتبسم سعيد قال الحجاج : وما تبسمك؟ قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك

قال : أقتله ياغلام ، فاستقبل القبلة وقال : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ (سورة الأنعام).

قال : حرِّفوه عن القبلة ، فقال : ﴿ . . . فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ . . . (١١٥)﴾ (سورة البقرة).

قال : كبوه عن الأرض ، فقال : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥)﴾ (سورة طه) .

قال : اذبحوا عدو الله ، فما رأيت رجلاً أدْعَى منه لآيات القرآن الكريم ، فرفع سعيد كفَّيه ، وقال : اللهم لا تسلِّط الحجاجَ على أحد بعدى .

فلم يمضِ على مصرع سعيد بن جبير غير خمسة عشر يومًا، حتى أصابت الحجاج الحمى، واشتدت عليه وطأةُ المرض، فكان يغفو ساعة ويفيق أخرى، فإذا غفا غفوة، استيقظ مذعوراً، وهو يصيح: هذا سعيد بن جبير آخذ بخناقي، يقول: فيمَ قتلتني؟ . . ثم يبكي، ويقول: مالي وسعيد بن جبير، مالى وسعيد بن جبير ، ردّوه عني ، ردوه عنى

******

الفصل الثالث

ـ ١ ـ

خلافة العباسيين:

أبي العباس السفاح (عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بـن العبـاس أول خلفـاء العباسيين)

صار العراق تحت حكم العباسيين بينما الشام لازلت تحـت حكـم الامـويين توجـه مروان بن محمد بجيش تعداده مائة وعشرين الف مقاتل بينما العباسيون تعدادهم عشرين الف مقاتل وتقابل الجيشان في منطقة الزاب قرب مدينة الموصل على نهر الفرات ودارت معركة الزاب في جماد الآخر سنة ١٣٢ هجرى انتهت بإنتصار العباسيين برغم قلة عددهم وفر مروان إلى الشام ،إلى دمشق وواصل فراره حتى وصل مصر ، أما جيش العباسـيين فقد واصل زحفه نحو دمشق وضرب عليها حصاراً وأخيرا تمكنت جيوش أبـى العبـاس من إقتحام مدينة دمشق وأباح لهم القتل فيها مدة ثلاث ساعات كانت كافيه لقتل خمسين ألف إنسانًا ، ثم أرسل في طلب مروان، فوجدوه مختبأ في كنيسة أبو صير في مصر وهناك قتل واحتز رأسه وأرسلوا برأسه إلى السفاح وهكذا سقطت للأبد الدولة الأموية في عام ١٣٢ هج ، وبدأ حكم الدولة العباسية واتخذو من العراق مقرا لدولتهم .

******

لما استقر الحكم لأبى العباس السفاح بعد مقتل مـروان بـن محمـد رجـع إلى الحـيرة (العراق) مقر حكمه وأعطى الأمان لبنى أميه فأتو إليه وبايعوه وبينما هم معه في المجلس اذ دخل عليهم رجل ملثم وهو "صديق بن ميمون" رجل أسود من الحجـاز وقـال بـين

يديه قصيدة تحريضيه على بنى أميه يذكره فيها بمقتل الحسين وجزاء الأمويين على ذلك وهذه أبيات منها

أقصهم أيها الخليفة وأحسم ـــ عنك بالسيف شأفة الأرجاس

وأذكرن مصرع الحسين وزيد ـــ وقتيل بجانب المهراس

فأمر السفاح جنده فقاموا بتهشيم الأمويين ثم أمر بالغداء ووضع الفرش عليهم وتناول الغداء فوق أجسادهم وبعد أن انتهو قام بصلبهم ثم جمعهم في بئر وردمه عليهم، بعد هذه الحادثة أمر بتتبع باقي الأموين ومطاردتهم ومن الذين طاردهم عبد الرحمن بن معاوية " المعروف بعبد الرحمن الداخل " الذى فر إلى الاندلس واستطاع أن يؤسس دولة الأمويين هناك .

*** يحيي بن محمد:**

عندما ولى أبى العباس السفاح أخوه يحيي على الموصل تحرك يحيي في إثنى عشر ألف مقاتل فعلم أهل الموصل وأعدوا العدة لقتاله ومقاومته فلجأ يحيي إلى الخديعة حيث نادى فيهم : من دخل المسجد فهو آمن فانخدع الناس وألقوا أسلحتهم ودخلوا المسجد فأمر يحيي بقتل من في المسجد كلهم وأيضا من في المدينة فازهق روح أحد عشر ألف نفسًا وفى الليل علا أصوات النساء والأطفال بكاءًا على ذويهم فأمر يحيي بقتل النساء والأطفال الباكين ثم أطلق أربعة من عبيده على النساء فارتكبوا الفواحش في النساء المسلمات ثم أتت إمرأه في الصباح وأخذت تأنب يحيي وتقول : ألست من بنى هاشم؟ أوترضى أن يفعل ذلك بنساء المؤمنين؟ فخجل وأرسل يستدعى العبيد الذى أطلقهم بالأمس على المدينة فأمر بقتلهم جميعًا ثم ما لبث يحيي حتى عزله السفاح وولى بدلا منه عمه اسماعيل عام ١٣٣ هجرية

قضى السفاح حياته في القضاء على الثورات ثم توفى في عام ١٣٦ هجرية مصابا بوباء الجدرى الذى انتشر في مدينة الأنبار

******

-٢-

أبى جعفر المنصور :

اسمه عبد الله (كأسم أخيه السفاح) بن محمد بن علي عبد الله بن عباس

تولى ابو جعفر المنصور الخلافة بعد أخيه عام ١٣٧ هجرية لكنه علم أن عمه عبد الله أخذ البيعة لنفسه واستولى على مدينة حران في الشام بعد حصارها فأرسل أبو جعفر إلى أبى مسلم الخرسانى والى خرسان لمحاربة عمه فتوجه أبو مسلم إلى عم المنصور لمقاتلته فقتتل الطرفان خمسة عشر شهراً حتى انهزم جيش عبد الله ففر عبد الله إلى المنصور يطلب لنفسه الأمان فأعطاه الأمان وقام عبد الله بمبايعة إبن أخيه

وبعد ذلك أرسل المنصور الى أبى مسلم الخرسانى يطلب منه ماغنمه من عمه من مال وغيره فسب أبو مسلم رسول المنصور وشتمه وشتم المنصور فلما علم المنصور غضب وبدأ يفكر في حيلة للإيقاع بأبى مسلم

أرسل المنصور إلى أبى مسلم وكان لا يزال في الشام بعد معركته مع عم المنصور أرسل يخبره أنه ولاه على الشام ومصر فرد أبى مسلم : لى ولاية خرسان وسأستخلف على مصر والشام من أشاء . أرسل المنصور إلى أبى مسلم ألا يخرج عن طاعته مستخدما معه الترغيب والترهيب فذهب أبو مسلم بجيشه لمقابلة المنصور والتفاهم معه فأرسل له المنصور أن يقابله في الصباح حتى يرتاح من عناء السفر وفى الصباح كانت المقابلة في البداية أخذ المنصور يعاتب أبى مسلم ويأنبه على خروجه عليه ثم صفق بيديه فخرج

أربعة من الحرس فطعنوا أبى مسلم الخرسانى بالسيوف حتى مات فلفوه في عباءه والقـو به في نهر دجله وقام المنصور بمقابلة قواد جيش الخرسانى فاشترى سكوتهم بالأموال .

******

كيف تصرف المنصور مع آل البيت

كان المنصور حين يذهب للحج يأتى بنو هاشم فيسـلمون عليـه لكنـه إفتقـد إثـنين منهم وهم محمد وإبراهيم إبنا عبد الله بن الحسن بـن الحسـن بـن علـي بـن ابـى طالـب فتوجس منهما خيفة ،

ولى رباح بن عثمان الغطفانى واليا على المدينة المنورة وأمـره بالبحـث عـنهم لكنـه فشل في العثور عليهما رغم أنه كان قاسيًا على أهل المدينة .

وفى السنة ١٤٠ هجرية لما فشل المنصور في العثور على محمد وإبراهيم أمر بالقبض على والدهما (عبد الله بن الحسن) ولما فشل في العثور على أى أخبار عنهما أمـر بحـبس أبناء الحسن بن على كلهم وهم أعمام محمد وإبراهيم وهم ثلاثة عشر رجلاً وكان معهم عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان لأنه أخـو عبـد الله بـن الحسـن مـن الأم وكـان معـه ولديهن له وقبض عليهم وأرسلو إلى أبى جعفر المنصور مقيدين بالأغلال والسلاسل في أعناقهم وأيديهم وكان من ولدى عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان والذى قبض عليـه معه ولد اسمه محمد فلما دخل على المنصور فرآه جميل الشكل حتى كان يلقب بالـديباج أمر المنصور بضربه بالسياط حتى تغير لونه وكأنه زنجى وفقأت عينه وثمـة شـخص آخـر فيهم كان جميل الشكل أيضا وكان يلقب بالديباج الأصفر وهو محمد بن إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على ابن أبى طالب أى أنه ابن إبـراهيم الـذى يبحـث عنـه المنصور هو وأخيه محمد قام المنصور بإلقاء محمد (الديباج الأصفر) بين إسطوانتين وبنـى عليه حتى مات

ثم قتل عبد الله بن الحسن هو وأخيه قتلهما صبراً أى مقيدين بالسلاسل في الأرجل والأيدى وعلم المنصور أن أهل خرسان كانوا ينتظرون محمد الديباج الذى جلده وفقأ عينه ليقومون بثورة ضد المنصور فقطع رأسه وأرسلها لهم فخافوا ثم وضع السم لباقى السجناء فماتوا جميعا

لما فشل ولاة المدينة في العثور على محمد وإبراهيم فكر المنصور في حيلة ما ، حيث أرسل قادة جيشه ليتظاهروا أنهم مع محمد بن عبد الله وأنهم ضد المنصور وأنه إذا خرج فسوف يؤازرونه فصدق محمد وخرج في المدينة عام ١٤٥ هجريه وكان مختبئًا في قبيلة جهينه وكان ملقب بالنفس الزكيه فالتف حوله أهل المدينة وبايعوه فقبض على واليها رباح بن عثمان الغطفانى وسجنه ثم قُتل جزاء لظلمه لأهل المدينة .

علم المنصور بهذه الأخبار فأرسل يستشير عمه عبد الله الذى كان قد ثار عليه ثم طلب منه الأمان وكان رجل حرب ذو خبرة فأشار عليه أن يذهب إلى الكوفة لأن أهلها متشيعين لآل البيت وأن يحاصرها فلا يخرج منها ولا يدخل فيها أحد لأنها ستنتفض مع محمد النفس الزكية ففعل وأرسل ابن أخيه عيسى بجيش لمحاربة محمد النفس الزكية وقام محمد بحفر خندق مكان خندق غزوة الاحزاب لكن جيش عيسى استطاع اقتحام الخندق واقتتل الطرفان وقاتل محمد قتال الأبطال لكنه هُزم وقُتل واحتز رأسه في الرابع عشر من رمضان سنة ١٤٥ هجريه

وفى نفس العام كان إبراهيم اخوه مختبأ في البصرة فلما علم بخروج اخيه في المدينه خرج هو الآخر فأرسل المنصور يستدعى عيسي ابن أخيه بعد أن انهى حربه مع محمد فحضر بجيشه وتحرك نحو البصرة لقتال إبراهيم والتقى الجيشان في منطقه تسمى باخمرى وكادت أن تكون الغلبه لإبراهيم لكنه حين اشتد القتال انفض أهل البصرة عنه وخذلوه إلا قله قليله بقيت معه فانهزموا وأصيب إبراهيم بسهم في حلقه ثم احتز رأسه وأرسل

إلى أبى جعفر المنصور الذى بكى حين رآها وقال : والله لقد كنت لهـذا كارهـا ولكنـك ابتليت بى وابتليت بك

ثم قام المنصور ببناء مدينة بغداد عام ١٤٦ هجريه لتكون مقرا للخلافة العباسية

كيف تصرف المنصور مع عمه:

فى عام ١٤٧ هجرية أراد المنصور أن يتخلص مـن عمـه عبـد الله فأوكـل أمـره إلى وزيره عيسى بن موسى وخرج للحج لكن عيسى خاف غـدر المنصـور فـأراد أن يحتـاط لنفسه ويستخدم الحيلة فخبأ عبد الله ولم يقتله ولما رجع المنصـور قـال لعيسـى : أخـرج عمى عبد الله فقد عفوت عنه فقال عيسي : لقد قتلته بأمر منك فأنكر المنصور ذلك وأمر بأرسال عيسى إلى إخوان عبد الله ليقتلونه لكن عيسى أخبر المنصـور أنـه لم يقتـل عمـه وأخرجه أمامه فأمر المنصور بحبس عمه في دار مبنيه من الملح وبعد ذلك أسالوا عليها الماء فانهدمت الدار ومات عبد الله عم المنصور وقام المنصور بعزل عيسى

ثم توفى الخليفة أبى جعفر المنصور وهو في طريقة إلى الحج سنة ١٥٨ هجرية

******

نذالة أم

بعد أن مات أبى جعفر المنصور خلفه ابنه محمد المهدى عام ١٥٨ هج وكان للمهدى جاريه شديدة الجمال فصيحة اللسان، طاغيـة الأنوثـة قويـة الشخصـية كـان اسمهـا " الخيزران " وكانت مقربه له ومحببه لقلبه دون نسائه حتـى أن أمـيرات بنـى عبـاس الـذى تزوجهن من بعدها لم يستطيعن أن يكن لهن نفس المكانة في قلب المهدى حتى أنه كـان لا يرد لها كلمة فكانت تتدخل في أمور الحكم واختيار الوزراء وأمور الرعيـة والحـروب كانت تشير عليه فيسمع كلامها تشابهت معها في التاريخ الإسلامى شجرة الـدر جاريـة

نجم الدين أيوب . . أنجبت الخيزران ولدان هم موسي الهادى وهارون الرشيد فكان لهارون الرشيد مكانه في قلبها وأحبته أكثر من حبها لإبنها الهادى واستطاعت الخيزران أن ترتفع من جارية إلى زوجة حيث أعتقها المهدى وتزوجها فزادت سيطرتها وأطماعها وتدخلها في شئون الحكم وكان المهدى لا يخالفها ولا يرد لها طلبا ولما أعطى المهدى ولاية العهد لابنه موسى الهادى ومن بعده هارون الرشيد حاولت أن تثنيه عن هذا القرار وتقنعه أن هارون أجدر بولاية العهد من الهادى فأرسل المهدى إلى ابنه موسى الهادى ليحضر ويتنازل عن ولاية العهد لأخيه ـ وكانت هذه الامور تتم كتابة ويوقع عليها الأطراف والشهودـ وكان الهادى ببلد تدعى "جرجان" وهى جورجيا حاليا يقود الجيش في طبرستان فامتنع الهادى عن الحضور فخرج المهدى قاصداً الذهاب لابنه الهادى ليقنعه بالتنازل لأخيه فمات في الطريق دون أن يتم هذا الأمر فأُخذت البيعة للهادى دون رغبة أمه ورغم اعتراض بعض وزراء المهدى الذين كانوا يعلمون بعزم المهدى تغيير ولاية العهد وجعلها لهارون وكان الفضل في سرعة مبايعة الهادى يرجع لهارون الرشيد نفسه .

مع تولي الهادي للخلافة استمرت الخيزران تتدخل في أمور القصر والدولة، وتستبد بالأمر والنهي، وكانت كثيراً ما تكلمه في الحاجات والطلبات، وتتوسط للناس عنده فكان يواقفها في كل ما تسأله حتى مضى على ذلك أربعة أشهر من خلافته، فبدأ الناس يتوافدون عليها، وكانت المواكب تزدحم إلى بابها.

فبدأ الهادى يضيق ذرعًا بتدخل والدته في شؤون الدولة واستقبالها للقادة والوزراء في قصرها . وكلمته يومًا في أمر، فلم يجد إلى إجابتها فيه سبيلاً، فقالت: لابد من إجابتي إليه فإني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك .

فغضب الهادي أنها أعطت وعد لشخص دون الرجوع له وقال: قد علمت أنه صاحبها، والله، لا أقضيها له.

قالت : إذًا والله لا أسألك حاجة.

قال : لا أبالي.

وقامت غاضبة فصاح بها : مكانك . . والله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو خاصتي ، لأضربن عنقه ولأقبضنَّ ماله . ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك؟ . . أما لك مغزل يشغلك؟أو مصحف يذكّرك؟ إياك وإياك . . لا تفتحي بابك لمسلم ولا ذمي.

فانصرفت والغضب يكاد يذهب عقلها .

ثم توجه إلى أصحابه من وزراء وقادة وقال لهم :

أيما خيرٌ أنا أم أنتم ، وأمي أم أمهاتكم؟ (يقصد خير في المكانه والمنصب)

قالوا : لا بل أنت وأمك خير.

قال : فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال فعلت أم فلان وصنعت؟

قالوا : لا نحب ذلك.

قال : فما بالكم تأتون أمي فتتحدثون بحديثها؟

فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها

ازداد غضب الخيزران وحقدها علي الهادى ولدها وأصبح في نظرها رجل أذلها وخاصة بعد أن علمت أن الخليفة الهادى يريد أن ينزع ولاية العهد عن أخيه هارون ويأخذ البيعة لابنه جعفر ، فأمرت جواريها فوضعوا له السم ثم وضعوا بساطه الثقيل فوق وجهه وجلسوا على أطرافه حتى فارق الحياة عام ١٧٠ هجرية شابا عمره ٢٣ عاما وقد ذكر الطبري في تاريخه أن الخليفة الهادي حاول قتل والدته حين أرسل إليها أطعمة

مسمومة في طبق، لكن الخيزران عملت على أن يتذوق كلب من هـذا الطبـق أولا وقـد سقط الكلب ميتا على الفور.

نقفور ملك الروم

فى العام الهجرى ١٧٨ نقض ملك الروم الصلح وكتب الى هارون الرشـيد: (مـن نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلـى أقامتـك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك أموالها ماكنت حقيقا بحمل أمثاله إليها وذلك من ضعف النساء وحمقهن، فإذا قـرأت كتـابى أردد إلى ماحملتـه إليـك مـن الأموال ، وإلا فالسيف بيننا وبينك)

فرد هارون الرشيد على ظهر الكتاب: (من هارون أمير المـؤمنين إلى نقفـور كلـب الروم قد قرأت كتابك يابن الكافرة والجواب ماتره دون أن تسمعه والسلام)

وجهز الرشيد جيشا وخرج حتى وصل باب هرقلة فقاتل وغنم وأحرق حتى طلب نقفور الصلح على خراج يؤديه كل سنه ولما رجع الرشيد إلى بلاده عاد نقفـور إلى نذالتـه فنقض العهد مرة أخرى ولكن الشتاء قد بدأ وفى السنة التي بعدها ١٨٨ هـج خرجـت الصائفة (وهى الجيوش التي تحارب صيفا) لقتال نقفور واقتتل الجيشـان فـانهزم نقفـور وقتل من جيشه أربعين ألفا فاضطر نقفور إلى المصالحه ودفع الجزية.

******

-٣-

خلافة المأمون:

كان هارون الرشيد قد جعل ولاية العهد لابنه الأمين ثم المأمون ثم المـؤتمن وعزلهـا عن المعتصم بالله ولما سُئل في ذلك قال: لأنه كان لا يهتم بالعلم.

فتولى الأمين الخلافة بعد موت هارون الرشيد عام ١٩٣ هجرية وكان خليفة في بغداد بينما أخوه المأمون واليًا على خرسان منذ عهد أبيه الرشيد. وكان الأمين كثير اللعب واللهو ولأن الأنسان لا يتعلم من أخطاء أبائه وأجداده فلقد استمع الأمين إلى نصيحة أحد وزراءه وهو الفضل بن ربيع في أن يجعل ولاية العهد لإبنه موسى. . علم المأمون بذلك فأعد العدة لقتال الأمين فأرسل الأمين عام ١٩٥ هج جيشا بقيادة على بن عيسي فالتقى بجيش المأمون بقيادة الأمير طاهر بن حسين الخزاعى فاقتتلوا وانهزم جيش الأمين وقُتل قائده على بن عيس واحتز رأسه وأرسل إلى المأمون ولما علم الأمين جهز جيشًا تعداده عشرين الفًا بقيادة عبد الرحمن بن جبله فقتتل مع الأمير طاهر وانهزم أيضا وقتل عبد الرحمن وفر أصحابه

ثم حدث أن وقع خلافًا بين جند الأمين فاقتتلوا فتزعزع الجيش فاستغل المأمون ذلك وأرسل جيشًا بقيادة الأمير طاهر وقام بمحاصرة بغداد عام ١٩٧هج ونصب حولها المنجنيق واشتد الحصار على أهل بغداد وجند الأمين فتفرقوا من حوله وخروا يطلبون الأمان من الأمير طاهر فأمنهم ثم قام بقطع المؤن التي تأتى عن طريق نهر دجله ومنع الملاحين من السير عبر النهر إلى بغداد ظل مع الأمين أهل بغداد فاستبسلوا في القتال والمقاومة حتى أمر طاهر بوضع جسر على نهر دجله وعبر واستطاعوا هزيمة المقاومة استمر ذلك عامًا كاملاً حيث دخل عام ١٩٨ هج ونادى طاهر بالأمان لمن لزم بيته واستمروا في التقدم حيث تحصن الأمين في قصر زبيدة أمه فاشتد الحصار على القصر وضرب بالمنجنيق ، ففرالامين هاربًا متخفيًا في جنح الليل على حصان أسود يرتدى الملابس السوداء حتى وصل نهر دجله فعبره سباحة آملا في أن ينجو لكن ما أن عبر النهر ووصل إلى الجانب الآخر حتى أسره جند المأمون وقاموا بذبحة وهو مكبوب على وجهه ثم قاموا بجر جثته في شوارع بغداد.

ماذا فعل المأمون بعد ذلك؟

فى بداية عهد المأمون حدثت بعض الفتن والقلاقل واضطر الجيش العباسى للدخول في حروب لإخماد الثورات في الكوفة والبصرة وأيضا في مكة بعد الإنتهاء من هذه الثورات بدأ أفراد الجيش والشطار (الوزراء وكل من له مكان في بلاط الخلافة) بدأوا في فرض الضرائب على الناس والمزارعين والمسافرين ومن يرفض يقومون بنهب أمواله وماشيته وأحيانا غلمانه ونسائه، فقرر أهل بغداد وغيرها من المدن أن يشكلو فرق حماية منهم لحماية ممتلكاتهم وأعراضهم وسميت هذه الفرق "المطوعة" وكان شعارها(الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والدفاع عن الممتلكات

أما الخليفة المأمون فكان منشغلا في خرسان بقراءة كتب الفلسفة وكتب الشيعة

اتخذ المأمون المذهب الشيعى عقيدة له واتخذ اللون الأخضر لباسا وشعاراً ،وجعل ولاية العهد لعلى بن موسى الكاظم الشيعى المعروف ،وكان يلقب بعلى الرضى وكان هذا عام ٢٠١هجرية ،وهذا جعل الناس يثورون في بغداد معقل الخلافة ويبايعون عمه إبراهيم المهدى ، فسار إلى بغداد لكن بوفاة على الرضى إنتهت الثورة حيث أرسل المأمون لأهل بغداد بأن على الرضى الذى وليته قد مات فعودوا إلى الطاعة

ودخل المأمون بغداد عام ٢٠٤هجرية وغير لباسه إلى الأسود شعار العباسيين فرضى الناس، وبعدها سكنت الفتن واستقر أحوال الناس وهدأوا ، وفى عام ٢١١هجرية أظهر المأمون حقيقة عقيدته وأفكاره حيث أستطاع المعتزلة والشيعة التأثير على فكره وإيمانه فأمر بأن ينادى في الناس براءة الذمة ممن يذكر معاوية بخير وأن علي بن أبي طالب أفضل الخلق بعد الرسول صل الله عليه وسلم ثم نادى بخلق القرآن والتى كانت فتنة ومحنة عظيمة كما سنرى.

إنشغل المأمون بحربه مع الروم حتى تفرغ مرة أخرى عام ٢١٨هجرية فعاد لمقولته بخلق القرآن فأرسل لصاحب الشرطة في بغداد إسحاق بن إبراهيم في أن يسأل علماء الدين ماقولهم في أن القرآن مخلوق فأنكر كل العلماء هذا الكلام وقالوا أن القرآن كلام الله وليس مخلوق (وهذا فكر المعتزلة)* ومعنى أن يكون القرآن مخلوقًا أن له بداية ونهاية أى أنه ينتهى ويفنى كفناء المخلوقات .

******

المعتزلة هم فرقة تنتسب إلى عطاء الله الغزال الذى أعتزل مجلس الإمام الحسن البصرى لاختلافه الفكرى معه وكان للمعتزلة أفكار فلسفية لم يتفق على صحتها العلماء إلى يومنا هذا حيث أنهم اغتروا بعقولهم فكانوا يحملون الأمور معانى أكتر مما تحتمل ويقومون بتأويل واستنتاج مغلوط ومن أفكارهم خلق القرآن ، ونفى صفات الله عنه عز وجل وأن أفعال الإنسان من خلقه وليس من خلق الله ، ونفيهم بعض الأحاديث وأيضا نفى شفاعة الرسول لمرتكب الكبيرة وغيرها من الأفكار التي تتعارض مع صحيح الدين ، ثم اختلفوا فتشعبت منهم فرق كثيرة كالبشرية والنظامية والهاشمية والثمامية وغيرها)

أصر المأمون على رأيه وبدأ إستمالة العلماء بالعطايا والأموال ، ثم بتهديدهم بالسجن والسيف وأمر بسؤال العلماء في كل الولايات فمن ينكر خلق القرآن يزج به في السجن ، وبدأت حملة الإستجواب وحُمل العلماء مكبلين إلى سجون العراق من كل الولايات وأمام الضغط والتعذيب والسجن وافقه الرأى كثير من العلماء وتراجعوا عن قولهم بأن القرآن كلام الله ولم يثبت من رجال الدين إلا الإمام أحمد بن حنبل وتلميذه محمد بن نوح فالتف الناس حول رأى الإمام أحمد فجن جنون المأمون وأرسل في طلبهم ليمتثلوا أمامه ويسألهم بنفسه وأقسم بقرابته لرسول الله أنه سوف يقطع رقابهما إن لم تكن إجابتهم بخلق القرآن واستل لذلك سيفا خصيصا لم يستله من قبل وكان المأمون آن

ذاك ببلد تدعى "طرطوس" تقع حاليا بتركيا فحُمل ابن حنبل وتلميذه محمد بن نوح على جمل واحد إلى طرطوس،

وفى الطريق أخبرأحد رجال المأمون الإمام أحمد بأنه أقسم بقرابته لرسول الله أن يقطع رقبتك إن لم تجبه بخلق القرآن

فقام يصلى ودعا بهذا الدعاء (اللهم فإن يكن هذا القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته) وما إن إنتهى الإمام من صلاته حتى تعالت الأصوات معلنه موت المأمون.

وتقرر إرجاع الإمام أحمد إلى سجن بغداد حتى ينظر الخليفة الجديد في أمره ، وفى الطريق مرض محمد بن نوح وأحس بدنو أجله فأوصى الإمام أحمد أستاذه بالثبات وتقوى الله ثم أسلم الروح لله.

******

بابك الخزمى:

كان بابك الخزمى زنديقا ملحدا، ظهر في خرسان عام ٢٠١ هج ، وكان يسمى شيطان خرسان اذ كثر اتباعه واستفحل أمره وقتل من خرسان خلقا كثير قدر عددهم بمائتين وخمسة وخمسين ألفًا (٢٥٥ الف) ،وكان واتباعه يبيح إرتكاب الفواحش ، ويبيح زواج المحارم. ولما تولى الخلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد بعد موت أخيه المأمون أرسل جيشا عام ٢١٩ هج بقيادة خيدز بن كاوس التركى الشهير بالأفشين إلى بابك الخزمى فاستطاع أن يهزم جيشه ويقتل منهم الكثير وفر بابك ثم التقى مرة أخرى بجيش الأفشين في سنة ٢٢١هج واستطاع أن يهزم جيش الأفشين وأن يقتل القائد بغا ولكن الأفشين عاد فهزمه في موقعة أخرى عام ٢٢٢هج وأرسل المعتصم إلى الأفشين مددا عظيما حيث أنفق أموال كثيرة لقتال هذا الملحد فحاصر مدينته "البذ" وهاجمها وافتتحها فهرب بابك واختفى في منزل غلام لكن الغلام ذهب وأخبر جيش الأفشين

بمكانه فقُبض عليه وأرسله الأفشين إلى المعتصم في سامراء ـ وكان قد بناها المعتصم وجعلها عاصمة للخلافة العباسية ـ فأدخلوه سامراء على فيل حتى يراه الناس ثم أمر المعتصم بقطع يديه ورجليه وشق بطنه وحز رأسه ثم أرسل رأسه إلى خرسان وصلب جسمه في سامراء وكان هذا عام ٢٢٣هج .

وأثناء انشغال المعتصم بفتنة بابك قام الروم بأفعال وحشية إذ غزوا المسلمين في زبطرة وملطية (مدن في تركيا حاليا) بقيادة ملكهم توفيل بن ميخائيل فقتلوا من وقع في أيديهم من الأسرى المسلمين وقطعوا أنوفهم وآذانهم وسملوا أعينهم وقتلوا النساء والأطفال وصاحت إمرأة (وامعتصماه) . تحرك المعتصم بجيشه إلى توفيل ملك الروم عام ٢٢٣ هج والتقى بجيش الروم واستطاع أن يهزمهم وواصل الزحف إلى عمورية وكانت مدينة مقدسة عند الروم فحاصرها جيش المنتصر ، وتم قصفها بالمنجنيق حتى فتحوها فأسروا وغنموا وقتلوا ثأراً للمسلمين الذين قتلوهم وانكسرت شوكة الروم وعاد المعتصم إلى سامراء منتصراً .

******

المعتصم وقضية خلق القرآن

كان المعتزلة يسيطرون على الخليفة المعتصم ويحاوطونه ويأثرون على أفكاره وكان منهم الوزراء والحاشية فاستمر إمتحان العلماء وسؤالهم عن خلق القرآن واستمر الأمام أحمد بن حنبل في الثبات . .

ظل الإمام أحمد بن حنبل في سجن بغداد ثلاث سنوات منذ موت المأمون ، ثم إنتقل إلى قصر إسحاق بن إبراهيم رئيس الشرطة ليناظره المعتزلة هناك فلم يستطيعون التفوق عليه وهذا مثال لحواره مع أحد المعتزلة حين سأله :

"كيف تقول بأن القرآن كلام الله و الله ليس كمثله شئ؟

فكيف يكون كلام الله والبشر يتكلمون كذلك؟"

فرد الإمام أحمد: "هل البشر يعلمون؟"

فقال: نعم

قال الإمام: "كيف إذن؟ فهل الله لا يعلم؟ أم أن علم الله مخلوق؟"

قال: نعم ، علم الله مخلوق"

قال له الإمام أحمد: "-يا كافر، أنت كفرت بقولك هذا، فكيف يكون علم الله مخلوقا؟ أفلم يكن لله علم؟"

وسمع هذا القول رسول المعتصم و لام المناظر في قولته تلك.

فقال الإمام أحمد: " من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، و من زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر، و من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر."

إستمرت المناظرات أربعة أيام حتى أرسل المعتصم في طلب الإمام أحمد إلى قصره وحلف ألا يقتله بالسيف بل سيعذبه عذابا شديداً. . حضر الإمام أحمد إلى مجلس المعتصم وناظر علماء المعتزلة مرة أخرى أمام الناس الذين حضروا المناظرة فلم يستطيعون هزيمته بل غلبهم بقوة حجته وأدلته فبدأ الخليفة المعتصم أن يلين ويقتنع بكلام الإمام حتى أنه طلب أن يتتلمذ على يده ، فوسوس له المعتزله بقولهم: هل تريد يامولاى أن يقول الناس أن أحمد بن حنبل هزم خليفتين هو والمأمون أخيه من قبله؟ فخاف المعتصم على مكانته وخاف من إلتفاف الناس على الإمام أحمد فقرر جلده علة يغير أقواله ، وأحضر

الجلادين وأخذ يطلب تغيير السياط ويتفقدها حتى أعجبته شدتها وبدأ الجلادون في جلد الإمام أحمد بن حنبل في ٢٧ رمضان سنة ٢٢١هجرية والتف عامة الناس حول

القصر . ثبت الإمام فلم يزحزحة الضرب عن موقفه فاغتاظ المعتصم وسأل أحد الجلادين : فى كم جلده تقتله فقال خمسة ، عشرة ، خمسة عشر ، أو عشرون

أمر الخليفة قتله ضربًا بالسياط . فبدأ الجلاد في ضربه بشده ودماؤه تسيل ، وكان الإمام هزيلاً وأشفق أحد رجال الخليفة على الإمام واستأذن الخليفه في أن يكلمه ، فذهب إلى الأمام وهمس له : يا أبا عبد الله ، البشرى ، لقد تاب الخليفة عن مقولته وقال " لا اله الا الله "

قال الإمام : كلمة الإخلاص وأنا أقول " لا اله الا الله "

فصاح الرجل : ياأمير المؤمنين إن الإمام قد قال ماتقول

فارتفعت الأصوات داخل القصر وظن جموع الناس بالخارج أن الإمام ابن حنبل قد مات ، وسادت الفوضى بين الناس وكادوا يقتحمون القصر ، فخاف الخليفة وأمر بإلباس الإمام وأن يخرج لهم ليهدأوا . . أطل الإمام من شرفة القصر فسأله الناس عما قاله في حضرة الخليفة فقال :

" وماذا عساى أن أقول . . . اكتبوا ياأصحاب الأخبار ، واشهدوا يامعشر العامة ، إن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود " ، فثبت الناس ولم تفتنهم أفكار المعتزلة واشتد غيظ الخليفة المعتصم وغضبه فأمر بجلده مرة أخرى فأوقعوه أرضًا وانهالوا عليه ضربا ، وداسته أقدامهم حتى فقد وعيه فاستمروا في ضربه ، ولما أفاق جاءوا له بماء مخلوط بتمر فأخبرهم أنه صائم ، وسجن الإمام في دار إسحاق بن ابراهيم وجئ له بالأطباء لعلاج جروحه الكثيرة حتى أن الطبيب اضطر إلى قطع اللحم الفاسد من جسده وظلت آثار الضرب على جسد الإمام طيلة حياته . ظل الإمام في السجن ثلاثون شهراً ، ثم أُخرج ومضت السنوات حتى مات المعتصم عام ٢٢٧ هجرية وخلفه هارون الواثق ابنه ومشى على نهج أبوه فاستمرت محنة خلق القرآن ، فأمر الإمام أحمد بالخروج من

المدينة التي هو فيها (الخليفة)فسافر الإمام وغاب خمس سنوات إلى أن توفى الواثق فخلفه جعفرالمتوكل على الله أخوه فأقر بعدم جواز القول بخلق القرآن وعدم الخوض في هذه المسألة وانتهت الفتنة ومات الإمام أحمد في ربيع الأول عام ٢٤١هجرية

******

المنتصر بالله:

هو محمد المنتصربالله بن جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد

لما تولى جعفرالمتوكل الخلافة جعل ولاية العهد من بعده لابنه محمد المنتصر بالله ومن بعده ولده الثانى الزبير المعتز بالله ثم لولده الثالث إبراهيم المؤيد بالله ، وكان المنتصر بالله وقتها عمره ١٣ عاما كبر المنتصر وتعجل كرسى الخلافة فيسر قتل أبيه حيث أغروه القادة الأتراك بذلك لأن أبيه المتوكل كان يريد أن يعزلهم عن المناصب التي حصلوا عليها ليحد من تدخلاتهم في شئون الدولة ، فقاموا بالتخلص منه قبل أن يتخلص منهم ، وآلت الخلافة إلى المنتصر من بعد أبيه في شوال عام ٢٤٧ هجرية ، لكن انتهت خلافته بقتله في ربيع الآخر عام ٢٤٨ هج أى أن مدة خلافته التي تعجلها بقتل أبيه لم تتجاوز الستة أشهر

فبعد أن فعل المنتصر فعلته صحا ضميرة ، ولاقى الأهوال من تأنيب الضمير فهاجمته الأسقام والعلل ولم تطب له الحياة، ولم يستمتع بالسلطة وقد دخل عليه عبد الله بن عمر البازيار يوما فوجده يبكى وينتحب فسأله عن بكاءه وحزنه فقال : كنت نائما فرأيت المتوكل قد جاءنى فقال : ويلك يامحمد قتلتنى وظلمتنى وغبتنى خلافتى والله لا تمتعت بعدى إلا أياما يسيره ثم مصيرك إلى النار، فانتبهت فما أملك عينى ولا جزعي

وكان المنتصر كثيرا مايقول اذا سُئل عـن حالـه : ذهبت والله منـى الـدنيا والآخـرة، وكان يقول في مرضـه الأخـير لأمـه : ذهبت ياأمـاه منـى الـدنيا والأخـرة عاجلـت أبـى فعوجلت فما أمهل .

أراد المنتصر بالله أن ينتقم من القادة الأتراك الذين زينوا له قتل أبيـه لكـنهم سـبقوه بقتله

******

الفصل الرابع

-١-

"ثورة الزنوج"

فى عهد الخليفة عبد الله المهتدى بالله بن الواثق بن المعتصم عام ٢٥٥ هجرية خرج رجل اسمه على بن محمد بن عبد الرحيم في البصرة ، وادعى كذبا إنتسابه لآل البيت فأعلن ثورته التي استمرت ١٤عامًا ، وفى البصرة كان يوجد زنوج سود أخذهم العرب معهم ليقوموا بإستصلاح الأراضى وأعمال الزراعة عاشوا عقودا في العراق فتكاثر عددهم وزدادوا ، فمناهم ذلك الرجل وأغراهم وخدعهم فانضم له الزنوج وتبعوه ، بينما انضم أهل البصرة إلى جيش الخليفة فقامت معركة بينهم فهزم الزنوج جيش الخليفة وقتلوا من أهل البصرة الكثير . . في ذلك الوقت قامت معركة في سامراء بين القائد التركى موسى بغا وبين الخليفة المهتدى بالله فهزموه وقتل الخليفة وتولى الخلافة أحمد بن المتوكل بن المعتصم، وفى عام ٢٥٧ عاد الزنوج إلى البصرة بعد أن أنضم لهم شيعة بغداد وغيرهم فحاصروها ودخلوها فقتلوا كل من وجدوه رجال ،وعلماء، فقراء ،وأغنياء واستمر القتل عدة أيام ونادى أحد القادة (من أراد الأمان فليحضر إلى هنا) فأقبل كثير من أهل البصرة فغدر بهم وأمر بقتلهم وكانت الزنوج يحيطون بجماعة بعد الأخرى من أهل البصرة فيقولون لبعضهم البعض (كليو) وهى في لغتهم " أقتل" فيبدأون بقتلهم بوحشية فلا يسمع غير(أشهد أن لا اله الا الله) من الضحايا وضحك الزنوج وصراخهم وضربات السيوف

وكانت طريقة الزنج إذا دخلوا مدينة أن يقتلون الرجال ثم العجائز والعجزة ، ثم سبى النساء وسلب مافى المدينة من أموال ثم إحراقها ، فقد قتلوا عشرات الآف من المسلمين في البصرة وأشعلوا النيران في المنازل والزروع والحيوانات وغيرها .

وقعت عدة معارك بين الزنوج وجيش الخليفة فهزم جيش الخليفة الزنوج وقتلوا منهم خلقًا كثيراً ، وأسر منهم الكثير أيضا وأرسلوا إلى الخليفة في سامراء لكن العامة قتلوهم في الطريق قبل أن يصلوا . . وفى عام ٢٦١ هجرية تمكن الزنوج من دخول مدينة الأهواز ففعلوا بها مثلما فعلوا في البصره قتلو ثم سبوا ثم أحرقوا المدينة ثم تركوها وفى عام ٢٦٣ هج استطاع القائد " الموفق بن طلحة " أخو الخليفة أن يهزم الزنج هزيمة منكرة وقتل منهم الكثير

ولكنهم تزايدوا مرة أخرى وانضم إلى جيشهم العديد من الزنج والعبيد واستولوا على عدة مدن ، وفى عام ٢٦٧ فتك بهم ابى العباس بن الموفق واسترد مدينة "واسط" ثم واصل زحفة الى مدينة "المنيعة" وهى مدينة الزنج واستطاع أبى العباس بن الموفق أن يدخل المنيعة فقتل وأسر وفك أسر السبايا المسلمات اللاتى بلغن الخمسة آلاف سبية ، ثم زحف إلى مدينة كبير الزنج (المدينة المنصورة) وكانت هذه المدينة محصنة بالخنادق لكن جيش الموفق استطاع أن يدخلها بعد مقاومة عنيفة فهزمهم وقتل وأسر منهم أيضا وفك أسر أكثر من عشر الآف من الأطفال والنساء .

ثم اتجه إلى مدينة المختارة وكانت مدينة محصنة بها ثلاثمائة ألف زنجى فاقتحموها أيضا وفكوا آلاف الأسرى وفر قائدهم سليمان بن جامع إلى الجزء الشرقى من المدينة فحوصر حتى جاع الزنج وأصبح يقتل منهم القوى الضعيف ليأكله ثم أخذوا يأكلون أطفالهم . . اقتحم العباسيون الجزء الشرقى وهزموهم وتمكنوا من على بن محمد بن عبد الرحيم الذى أسس حركة الزنج واستغلهم لمحاربة الخليفة والإستيلاء على المدن والثروات فقُتل واحتز رأسه وبهذا انتهت ثورة الزنج في جمادى الأول عام ٢٧٠ هجرية . .

******

-٢-

القرامطة

بداية ظهور القرامطة..

في عهد الخليفة أبى جعفر المنصور ظهر رجل أسمه أبو الخطاب محمد بن أبى زينب واتبعه بعض الجهله وسمو بالخطابية ، وكانو يؤمنون بتناسخ الأرواح وأن الأجسام لا تفنى وإنما تتحول لملائكة ،

وأن لكل زمان رسولين أحدهم ناطق والآخر صامت ، فكانوا يعتقدون أن محمد صل الله على وسلم هو الرسول الناطق وعلى رضى الله عنه هو الرسول الصامت كما أنهم كانوا يدعون لتكفير الصحابة وكانوا يبيحون ارتكاب الكبائر كالزنا وشرب الخمر والقتل ونكاح المحارم. وحينها قام والى الكوفة بمحاربتهم فقتلهم ، وقتل محمد بن الخطاب لكن جذورهم بقيت، ولما مات الإمام جعفر الصادق بن علي بن أبي طالب الذى كان يتخذه الشيعة إمامًا لهم ، إنقسموا إلى نصفين فالنصف الاول يرى أن الأحق بالأمامه هو إسماعيل بن جعفر الصادق والثانى يرى أن الأحق بالإمامة هو موسى بن جعفر الصادق وهم يمثلون الأغلبية العظمى للشيعة إلى اليوم ويسمون الاثنى عشرية ليتميزوا عن الإسماعيلية التابعين لاسماعيل بن جعفر خرج إسماعيل من الحجاز، واختفى خوفًا من الخليفة العباسى وبدأو الدعوة له سرًا على أنه إمام المسلمين الغائب والمهدى المنتظر وأنه من آل البيت وأحق بالإتباع ، ووجدت هذه الدعوة لها صدى في اليمن والمغرب وشمال أفريقيا تبنى إسماعيل بن جعفر معتقد الخطابية ، فكان يشرب الخمر ولا يرى غضاضة في ذلك، ثم مات إسماعيل فتفرقت الإسماعيلية إلى عدة فرق، ثم اتخذ بعضهم محمد ابن إسماعيل إماما ثم مات محمد وهم لا يزالوا على معتقداتهم الخطابية ثم تولى ابنه أحمد الدعوة والتقى في الكوفة بحمدان بن الأشعث النبطى وكان

يلقب بكرميت التي حرفت إلى قرميطة وكان النبط يسكنون البحرين تأثر حمدان بالدعوة الإسماعيلية وآمن بها ورجع إلى البحرين ونشر دعوته ومن هنا نشأت فرقة القرامطة التي كانت أشد وأشرس من الإسماعيلية في تطبيق عقائدهم المنحرفة .

استغل القرامطة ضعف الدولة العباسية وتفككها وانفصال بعض ولايات عنها واستقلالها ، فعاثوا في البلاد فساداً

ففى عام ٣١٧ هجرية توجه أبى طاهر القرمطى كبير القرامطة من البحرين إلى مكه في أوائل ذى الحجة ، وقد اجتمع فيها الحجيج من كل صوب ولون لأداء فريضة الحج فمنعه أهل مكه من الدخول وقاوموه . . فأظهر أنه جاء حاجًا وأنه لا يحل لهم منعه هو ورجاله من أداء الفريضه ، ولبسوا لباس الإحرام وأخذ هو ورجاله ينادون بالتلبية ، واستدعى أحد أئمة قريش وأقسم له بأغلظ الأيمان أنه قد آمنهم على دمائهم وأموالهم وحرمهم وأنه ما جاء إلا حاجًا ملبيًا وأنه لن يغدر بهم ولن يؤذيهم فصدقوه وأفسحوا له الطريق ، فدخل مكة في ستمائة فارس وتسعمائة راجلاً ، ولما أطمأن أهل مكه وحرسها ووضعوا أسلحتهم هجم عليهم هو ورجاله وأعملوا السيوف فيهم وفى الحجاج فقتلوا في يوم واحد ثلاثين ألفا من الحجاج ، ووقف أبو طاهر القرمطى أمام باب الكعبة ونادى : لمن الملك اليوم وقال : أنا الله أخلق الخلق وأفنيهم ، وهدم القرامطة بئر زمزم ورموا فيها مئات الجثث من القتلى الحجيج حتى امتلأ البئر فأخذوا يجمعون القتلى ويضعونهم فوقهم حتى أصبحوا كالجبل الضخم ، ثم خلعوا باب الكعبة ومزقوا كسوتها إربا إربا ونادى أبى طاهر أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ ، ثم أخذ يسير على فرسه بين الجثث وهو يضحك ويتلوا : (لإيلاف قريش) حتى وصل إلى قوله تعالى (وآمنهم من خوف)فقهقه وقال : من آمنهم من خوفنا؟ ثم جمع هذا النذل النساء الذين جئن لحج بيت الله وأمر جنوده فاغتصبنهن ثم ذبحوهن ورموا جثثهن في بئر زمزم . . نهب القرامطة كنوزًا كان يهدونها الملوك لتوضع في الكعبة المشرفة واقتلعوا

الحجر الأسود وأخذوه ، وأرادوا أن يسرقوا مقام إبراهيم فدسه أهل مكه فهددهم وتوعدهم ولما رفضوا تسليمه قام بمجزرة كبرى في شعاب مكة فقتلوا وهتكوا الأعراض وخطفوا الأطفال ونهبوا البيوت وسرقوا الممتلكات ، أخذ الشيعة القرامطة الحجر الأسود معهم إلى القطيف فبنوا كعبه وضعوه فيها وبنو موضع اسموه عرفات وآخر أسموه المشعر الحرام وحاولوا إجبار الناس على الحج لكعبتهم المزيفة فكانوا يعترضون قوافل الحجاج فيحاولون توجيههم إلى كعبتهم فيرفضون فيقومون بذبحهم وسلب أموالهم وسبى نساءهم، ، سيطر القرامطة على الجزيرة والغيت كثيرمن رحلات الحج ذعرا وخوفا منهم

ظل الحجر الأسود بحوزة القرامطة مدة (٢٢) عامًا ،عرضت الكثير من الأموال على القرامطة كثمن لرد الحجر الأسود لكنهم رفضوا. . ثم وقعت فتنة بين القرامطة عام ٣٢٦ هجرية فصار يقتل بعضهم بعضا ، ومات قائدهم عام ٣٣٢هج

ثم قام الخليفة العزيز بالله الفاطمى في مصر (وكان شيعى أيضا) قام بتهديدهم بأنه سيحاربهم بجيش لا قبل لهم به إن لم يردوا الحجر مكانه، وكانت الدولة الفاطمية آن ذاك في أوج عزها تحكم شمال أفريقيا كله تقريبا، فخافوا وامتثلوا وتم إرجاع الحجر الأسود عام ٣٣٩ هج وقد حمله رجل من القرامطة إلى مكه يدعى سنبر القرمطى. وفى عام ٣٧٥ قاتلهم "صمصامة الدولة " في معركة عظيمة بالكوفة وهزمهم ودحرهم فارتدوا إلى ديارهم وضعفت شوكتهم وفى عام ٣٧٨ هاجمت أحدى كبار القبائل العربية في البصرة القرامطة وتدعى " الاصفير" فهزموهم وقتلوهم وغنموا منهم الكثير ورجعوا إلى البصرة وهنا انتهى القرامطة إلى الابد فلم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

******

-٣-

القاهر بالله

هو الخليفة العباسى التاسع عشر في ترتيب الخلفاء الراشدين محمد بن المعتضد بن الموفق بن طلحة بن المتوكل

تولى القاهر الخلافة في شوال ٣٢٠هجرية بعد مقتل أخيه الخليفة المقتدر بالله والذى كان دائم الإحسان والعفو عنه، فكان أول همه البحث وراء أسرة أخيه ومصادرة أمواله، فقبض على أم أخيه وهى زوجة أبيه السيدة شغب وكانت مريضة منذ علمت بمقتل ولدها وسألها عن مالها فامتنعت أن تعترف بمكان خزائنها أو تتنازل له عن أملاكها، فعذبها تعذيبا شديدا. . ضربها أشد ما يكون الضرب وعلقها من أرجلها وتركها حتى تبولت فسال البول على وجهها ،لكنها أيضا رفضت أن تعترف وأنكرت أن لديها مال وحلفت أن ليس لها إلا ما أطلعته عليه

فأخرجها على حالها تلك لتشهد القضاة والناس أنها أحلت أوقافها وأوكلت في بيعها فرفضت وامتنعت بل قالت أمام الناس : قد وقفتها على أبواب البر والقرب بمكه والمدينة والثغور وعلى الضعفاء والمساكين ولا استحل حلها ولا بيعها

فلما علم القاهر بذلك أحضر القاضى والشهود واشهدهم على نفسه أنه قد حل أوقافها جميعا وأوكل في بيعها فبيع كل شئ لها واشتراه الجند من أرزاقهم ، ثم أخذ في تتبع كبار رجال دولة أخيه فقتلهم قتل قائد الجيوش البطل مؤنس الخادم وبليق الحاجب وولده على وقتل خصومه الذين كانو يعارضون توليه الخلافه وكانت أخلاقه في منتهى السوء والخسة والندالة وكان لا يفيق من السكر رغم أنه منع بيع الخمر في الأسواق وانقلب على كل من ساعده وفتك بأصدقائه ولكن بقى رجل واحد هرب منه هو الوزير بن مقله فقام بتأليب الناس عليه واجتمع بقادة الجند وكبار رجال الدولة والأعيان

واجتمع رأيهم على خلعه وسمل عينيه وبالفعل هجموا على داره وكان مخموراً لا يدرى مايجرى حوله فاخذوه وأجبروه على خلع نفسه وقاموا بسمل عينيه حتى لا يكـون أهـلا للخلافة ولا يطالب بها مرة أخرى وهو أول خليفه عباسى تُفقأ عينيه ، كان ذلك يوم ٥ جمادى الاول ٣٢٢هجريه (الخطيب تاريخ بغداد) عاش القاهر أعمى سبعة عشر عامًـا ، بين سجين وطليق، وقد شوهد يتسول بسـوق الثلاثـاء وسـط بغـداد، "وخـرج يومًـا ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس، بقصد تشويه صورة الخليفة المسـتكفى بالله ابن أخيه . فرآه بعض الهاشميين فمنعوه مـن ذلـك وأعطـوه مائـة درهـم وصـرفوه (الفخرى في الآداب السلطانية)

******

نقفور الدمستق:

مع تشتت المسلمين وكثرة حروبهم فيما بيـنهم وضـعف الدولـة العباسـية اسـتغل نقفور ذلك وكان ملك الأرمن وكان يـدعى الدمسـتق فقـام بمهاجمـة مدينـة حلـب عـام ٣٥١هج لكن واليها سيف الدولة الحمدانى جبن وهرب وتـرك أهـل حلـب يواجهـون مصيرهم فدافع عنها أهلها باستبسال لكن اللصوص بدأوا بمهاجمـة منـازل أهـل حلـب وسرقتها فرجع المقاتلون لحماية ممتلكاتهم ومنازلهم لكن هذا سمح بفرصه أعظم للروم فاقتحموا المدينة وقاموا بمجازر بشعه فيها فقتلوا وسبوا وغنموا وأحرقوا المنازل وخربـوا المساجد وممن قتل في هذه الحادثة أبى فراس الحمدانى الشـاعر المعـروف ثـم تـرك الـروم حلب بعد أن خربوها ورجعوا من حيث أتوا لكـنهم ظلـوا يهـاجمون الـدول الإسـلامية المجاورة مثل الرها وطرطوس وأزنه ، فيقتلون ويغنمون ثم يخربونها ويرجعون .

وفـى عـام٣٥٨هـج قـاموا بـاحتلال مدينـة طـرابلس وتوجهـوا إلى مدينـة حمـص فاقتحموها فقتلو وسبوا وخربوا كعادتهم ورجعوا ومعهم مائة الف أسـير مسـلم وفـى

العام ٣٥٩ هاجم الروم مدينة إنطاكيه وأسروا من أهلها عشرين الفا ثم غزوا ديـار بكـر والجزيرة (شمال شرق سوريا حاليا) كل هذا والدولة العباسيه في أشـد حالـت ضـعفها وقد سيطر على الحكم فيها البوهيون الذين كانوا مشغولون في اللهو واللعب

******

البوهيون:

لما تولى الخلافة المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد عام ٢١٩ هجريه ولما كانت أمه الجارية "ماردة " التركية مال المعتصم الى أخواله الأتراك فأخذ يوليهم المناصب العليا في الدولة ويتخذ منهم القادة والجند لشراستهم ومهارتهم في القتال ومـنهم القائـد الافشـين الذى استعان به المعتصم في حربه ضد الروم كما اتخذ منهم مماليك لحرسه الخاص ولكـن هذا جعل أمر القادة الاتراك يستفحل في الدولـة العباسـية فصـاروا يتـدخلون في شـئون الحكم بل وصل بهم الأمرأنهم أصبحوا ينصبون مـن يشـاءوا ويبايعونـه ويطلبـون مـن الناس مبايعته ويعزلون من يشاءوا من الخلفـاء فيسـجنونه ويـأتون بـآخر وهكـذا حتـى عام٣٣٣ هجرية في هذا العام قبض القائد التركى على الخليفـة المتقـى بـالله ابـراهيم بـن المقتدر بالله وسمل عينيه وسـجنه وولى بعـده عبـد الله بـن المكتفـى بـن المعتضـد ولقـب بالمستكفى بالله وهو بن أخى " القاهر بالله محمد بن المعتضد" وفى عام ٣٣٤ هـج مـات القائد تورون التركى فاستغل البوهيين الفرصـة وهـاجموا الأتـراك فرحـب أهـل بغـداد والخليفة بهذا الهجوم وأيدوا البوهيين ليخلصونهم من شرور الاتراك الذين عاثوا فسـادا في دار الخلافة فهرب الأتراك ودخل البوهيون بغداد لكن الخليفة كان كمن يستجير مـن النار بالرمضاء . . كان كبار البوهييون القادة الثلاثـة أحمـد وعلـى والحسـن أبنـاء "أبـى شجاع بويه" فأكرمهم الخليفة المستكفى وأنعم عليهم بألقاب

أحمد لقبه معز الدولة ، وعلى لقبه بعماد الدوله ، والحسن لقبه بركن الدولة

والبويهيون هم من بلاد الديلم جنوب غرب بحر قزوين وهم شيعة دخلو طبرستان ثم فارس ثم اتجهو إلى بغداد ولما هزموا الاتراك ودخلوا بغداد وأكرمهم الخليفة المستكفى بالله قاموا بعتقاله وأودعوه السجن وولوا بعده الفضل بن المقتدر ولقب بالمطيع بالله الذى أمر بسمل عيني المستكفى بالله انتقاما لأخيه " المتقى بالله ابراهيم بن المقتدر "

سيطر البويهيون على الدولة العباسية وصار أمر عزل وتولية الخليفة ايضا في أيديهم وفكر "أحمد بن بويه "معز الدولة " أن ينقل الخلافة من الخليفة العباسى السنى إلى الشيعى حاكم الدولة الفاطمية المعز لدين الله فحذره مستشاريه ووزراءه الذين كانوا جميعًا من الشيعة من مغبة ذلك لأن أغلبية الناس من السنة وسوف يثورون عليه فتراجع ، ثم أخذ اتباعه يغتصبون الأرضى من المزارعين ويخربون وينهبون البلاد وزادت سيطرة البويهيون على البلاد فضموا البصرة والموصل وازدادت الدولة العباسية ضعفا وتفككا وفى هذه الأثناء كانت حلب تحت حكم الحمدانيين الشيعة حيث هاجمهم الروم كما ذكرنا وكانت مصر والشام تحت حكم الاخشيديين فقد كانت مصر والشام قد استقلتا عن الدولة العباسية بعد معركة بين جيش العباسيين والجيش المصرى بقيادة خمارويه بن أحمد ابن طولون انهزم فيها الجيش العباسى وتقهقر منذ عام ٢٧١هج

أما المغرب فكان يسيطر عليها الفاطميون وأخذوا يتوسعون شرقا ناحية مصر أما الاندلس فصارت بيد عبد الرحمن الناصر الذى أعلن نفسه خليفه بعد ما رأى من ضعف الدولة العباسية

******

الفصل الخامس

-١-

الحاكم بأمر الله:

هو المنصور بن العزيز بالله وهو سادس حكام الدولة الفاطمية "وكانت الدولة الفاطمية تمتد من المغرب حتى الشام" ولد الحاكم بأمر الله عام ٣٧٥ هج من أم يونانية الأصل نصرانية الديانة وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه الخليفة العزيز بالله عام ٣٨٦ هج وكان عمره ١١ عام وتلقب بالحاكم بأمر الله وقام (برجوان) وزير والده بالوصاية عليه.

استبد برجوان بالحكم وكان يعتبر نفسه الخليفة الحقيقى واستغل منصبه في تكوين ثروة كبيرة بالإضافة الى إهماله شئون الدولة وانغماسه في اللهو والملذات وكان برجوان يستصغر الخليفه الحاكم بالله ويستهزئ به إذ كان يطلق عليه "الوزغة" أى السحلية ، ولما كبر الخليفة وصار في سن الشباب أرسل إلى برجوان يقول له: "إن الوزغة الصغيرة صارت تنينًا عظيمًا ،وهو يدعوك" ارتعد الوزير برجوان وحضر إلى الحاكم بأمر الله خائفا مزعورًا فأمر الخليفة بقطع رقبته وكان ذلك عام ٣٩٠ هج ثم تخلص من رجال برجوان في القصر والجيش.

بعد أن استقر الأمر للحاكم بأمر الله ظهر من أفعاله الكثير من الخسة والنذالة وربما الغرابة والتناقض ، فقد أمر بسب الصحابة رضوان الله عليهم وكتب ذلك في المساجد ثم محاه بل وعاقب من سبهم ثم أمر النساء بعدم الخروج من المنزل. ومنع أكل الملوخية وكان يأمر بجلد من يثبت أنه أكل الملوخية وذلك لأن هناك إعتقادًا عند الشيعة أن معاوية بن أبى سفيان كان يحبها ويأكلها وأيضا منع أكل الجرجير إعتقادا أن عائشة كانت تأكلها رغم أن هذه الأعشاب ربما لم تكن موجودة في ذلك الوقت كما أنه منع أكل الأرانب لأن أحد أقارب معاوية كان يأكله ويقول "ابن قازأوغلى" في تاريخه)

كانت خلافة الحاكم متضادة بين شجاعة وإقدام، وجبن وإحجام، ومحبةٍ للعلم وانتقام من العلماء، وميل إلى الصلاح، وقتل الصلحاء، وكان الغالب عليه السخاء، وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط، وأقام يلبس الصوف سبع سنين، وامتنع من دخول الحمام، وأقام سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً ثم عن له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة، وقتل من العلماء والكتاب والأماثل ما لا يحصى، وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم في سنة ٣٩٥هـ ثم محاه في سنة ٣٩٧هـ، وأمر بقتل الكلاب، وحرم بيع الفقاع (البيرة المسكرة) وعمله ثم نهى عنه، ورفع ضريبة المكوس عن البلاد، وعما يباع فيها، ونهى عن النجوم، وكان ينظر فيها، ونفى المنجمين، وكان يرصدها.)

كما حرم أن تصلى صلاة التراويح عشرة أعوام ثم أباحها ومنع أكل العنب وزراعته فقطع كروم العنب وأراق خمسة آلاف جرة من عسل النحل في البحر خوفه أن يصنع منه النبيذ كما منع من أكل وبيع السمك ذو القشور وألبس أهل الذمة لباسا يميزهم ومنعهم من الركوب مع المسلمين في سفينة واحدة أو أن يستعيروا دوابهم أو يدخلون معهم الحمامات أما من كان يخالفه فكان جزاءه القتل

وفى العام ٤٠٢ هج منع الرطب وجمع منه الكثير جدا وأحرقه

كما أنه هدم كثير من الكنائس وخاصة الكنيسة المعروفة بالقمامة وأجبر النصارى على الدخول في الإسلام وبعد فترة أعاد بناء الكنائس وسمح لهم بالعودة إلى ماكانوا عليه

وفى عام ٤٠٤ هج منع النساء من الخروج ومنع صنع الأحذية والخفاف لهن فحبسن في ديارهن مايقارب السبع أعوام حتى مات. . وقتل من النساء كثير خالفنه وهدم بعض الحمامات فوقهن وكان يبنى المدارس ويجعل فيها الفقهاء والمشايخ ثم

يهدمها ويعدم الفقهاء وألزم الناس بغلق الأسواق نهارًا وفتحها ليلاً وكان يدور على الأسواق بنفسه راكبًا حمار فكان ركوبته المفضلة فمن وجده يغش في البيع أمر عبدًا أسود معه اسمه مسعود أن يفعل به الفاحشة

كره الناس الحاكم بأمر الله وقام بعضهم بكتابة قصص يشتمونه ويسبونه هو واسلافه بابشع الشتائم وقامو بصنع تمثال لامرأة من الورق والبسوها الملابس والخف ووضعوا في يدها القصص ووضعوها في طريق الحاكم فظن أنها امرأة واقترب منها أخذ الاوراق وقرأها ثار وغضب وأمررجاله بقتلها ولكن تبين لهم أنها إمرأة من الورق فاشتد غضبه وأمر العبيد أن يحرقوا مصر وينهبوها

يقول ابن تغدى بردى فى "حسن المحاضرة" :(وكان له رعونات كثيرة لا تنضبط، فأبغضه الخلق، وكتبوا له الأوراق بالشتم له ولأسلافه في صورة قصص حتى عملوا صورة امرأة من ورق بخفها وإزارها، وفي يدها قصة فيها من الشتم شيء كثير، فلما رآها ظنها إمرأة، فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها، فلما رأى ما فيها غضب، وأمر بقتلها، فلما تحققها من ورق، إزداد غضبًا إلى غضبه، وأمر العبيد من السود أن يحرقوا مصر، وينهبوا ما فيها من الأموال والحريم، ففعلوا، وقاتلهم أهل مصر قتالاً عظيمًا ثلاثة أيام، والنار تعمل في الدور والحريم، واجتمع الناس في الجوامع، ورفعوا المصاحف، وجأروا إلى الله واستغاثوا به، وما انجلى الحال حتى احترق من مصر نحو ثلثها، ونهب نحو نصفها، وسبي حريم كثير، وفعل بهن الفواحش، واشترى الرجال من سبي لهم من النساء والحريم من أيدي العبيد)

أسرف الحاكم في القتل اذ بلغ من قتلهم حوالى ثمانية عشر الف نفسا وكان يقتل الكثير من وزراءه فيقتل الوزير ويعين غيره وما يلبث الا أن لا يعجبه فيقرر قتله وكثير من العلماء والوجهاء والكتاب والعامة وغيرهم

فى عام ٤٠٨هج جاء رجل اسمه محمد بن اسماعيل الدرزى وجاهر بمطالبة الناس بأولوهية الحاكم بأمر الله أنكر الناس قوله وقتله أحد الأتراك وهو في موكب الخليفة وسادت الفوضى وظلت الفتنة ثلاثة أيام حيث قتل الكثير من اتباع الدرزى وأقفلت أبواب القاهرة وقبض على التركى قاتل الدرزى وقُتل .

ثم ظهر رجل آخر يدعى حمزة بن أحمد الهادى اتخذ مسجدا خارج القاهرة ليقيم فيه وبدأ يبث دعوته وينشر أفار الدرزى ونادى الناس بتأليه الحاكم بأمر الله وأنه إمام المسلمين وخليفة الله على الأرض وبدأ يفتى ويطلق أحكام بجواز زواج البنات والأمهات وأسقط كثير من التكاليف كالصوم والصلاة وأرسل الرسل إلى الشام ليدعو بدعوته واستجاب له خلق كثير وخاصة في لبنان وبذلك ظهر المذهب الدرزى الذى استمر إلى الآن

وكان الحاكم يأتى الأفعال المتناقضة متأثراً بفكرة التعظيم والتأليه الذى أسبغه عليه من أحاطوه من الشيعة الإسماعيليه والمجوس أمر الحاكم بأمر الله الناس إذا ذكر اسمه الخطيب على المنبر أن يقوم الناس له تعظيما وإجلالا كما أمر أهل مصر بعد قيامهم أن يسجدوا لأسمه وكان يسجد لسجودهم العامة في الأسواق والجهال وحتى من لا يصلون

استبعد المؤرخون أن يكون الحاكم بالله مجنونا فليس هناك مجنونا يظل في الحكم خمسة وعشرون عاما

قتل الحاكم بأمر الله بتدبير من أخته "ست الملك" بالإتفاق مع أحد الأمراء ويدعى "طليب بن دواس" حيث خرج ليلاً كان ذلك في ٢٧ من شوال عام ٤١١ هج متخفيا في ملابس الرهبان ليطالع النجوم والأبراج كما كان يحب فكلف "طليب" عبدان له بتتبعه وقتله فقتلاه وأخفيا جثته ولما لم يرجع مدة ثلاثة أيام أُعلن موته وفرح الناس بموته فرحًا شديداً

******

-٢-

"حملة الامراء" :

فى عهد المستظهر بالله وكان الأمر في هذا الوقت بيد السلاجقة قدمت حملة صليبية عام (٤٩٠ هـج ١٠٩٦ م) من أوربا نظمها النصارى الكاثوليك وسميت "بحملة الأمراء" بقيادة جوديفرى دينيون فتوجهوا إلى آسيا الصغرى(تركيا حاليا) فهزموا السلاجقة واتجهوا نحوا إنطاكيه فحاصروها وأرسلوا جيشًا إلى رها شمال العراق فاستولوا عليها استمر حصار إنطاكيه ستة أشهر حتى دخلوها عام ٤٩٢هج ، فخربوها واتجهوا إلى القدس وفى طريقهم إلى القدس ظلت المدن الاسلامية تسقط في أيديهم فسقطت طرابلس وبيروت وصيدا حتى وصلوا الى القدس فحاصروها حتى سقطت في أيديهم فدخلوها وارتكبوا ابشع الجرائم فيها فلم يتركوا رجلا او إمراة أو طفلا أو شيخا إلا قتلوه حتى صار الدم يجرى كالنهر ثم دنسوا المسجد الأقصى بأرجلهم وخيولهم

وفى العام ٥١٤هج إستطاع الصليبيين فتح حلب فقتلوا من أهلها خلقا كثيراً ثم بدأوا يحتلون المدن الإسلامية

قام الخليفة المسترشد بتولية عماد الدين زنكى الموصل وحلب وحماة ووكل إليه أمر الصليبيين فحاربهم واستطاع ان يسترد الرها منهم عام ٥٣٩ هجرية وفى العام ٥٤١ قتل عماد الدين زنكى وتولى من بعده ابنه نور الدين محمود فاستطاع أن يسترد عدة حصون ساحلية من الصليبيين

وفى عام ٥٦٤ هج إستطاع أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبى أن يستردا مصر من الفاطميين الشيعة ثم استمر صلاح الدين الايوبى بعد وفاة عمه في جهاده ضد الصليبيين حتى هزمهم في معركة حطين ٢٤ ربيع الأول عام ٥٨٣ هجرية وكان تعداد جيش صلاح الدين اثنا عشر الفا بينما كان جيش النصارى ثلاثة وستون ألفا

فقتل منهم ثلاثون الفا وأسر ثلاثون الف ثم حاصر القدس ودخلها ليلة ٢٧ رجب (ليلة الاسراء والمعراج عام (٥٨٣ هج – ١١٨٧م (في عهد الخليفة العباسى الناصر لدين الله احمد بن الخليفة المستضئ بالله

******

العلقمى:

كان الخليفة المستعصم بالله عبد الله ابن المستنصر آخر الخلفاء العباسيين قام هذا الخليفة بتولية مؤيد الدين أبى طالب محمد بن أحمد بن العلقمى الوزارة ،وكان العلقمى شيعيا رافضيا يكره المسلمين السنة فبدأ بالجيش العباسى الذى كان أغلبه من السنة وكان تعداده مائة ألف مقاتل فقام بتشتيتهم حتى بلغ عدده عشرة آلف مقاتل ثم بدأ في مراسلة الخوجة بن نصير الطوسى – والطوسى هذا فيلسوف ملحد وكان عالما في الفلك والرياضيات فبعد أن دخل المغول بلاد فارس استطاع الطوسى أن يقنع هولاكوا قائد المغول أنه عالم فلك وأنه يستطيع أن يستدل بالنجوم وأنه يمكنه الإستفادة منه فابقى عليه هولاكوا، وبعد رسائل العلقمى بدأ الطوسى يقنع هولاكوا ويزين له غزو بلاد الإسلام واقتحام بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وأخبره أن النجوم تخبره بأن النصر سيكون حليفة إذا حاول دخول بغداد

فغزا المغول البلاد الاسلامية بالفعل

******

-٢-

المغول:

كانوا قبائل آسيوية يعيشون في هضبة مانغوليا شمال الصين يتكلمون اللغه التركية وكانو قبائل همجية يتقاتلون فيما بينهم سنين طويلة لأتفه الأسباب حتى جاء تيموجن

فاستطاع أن يوحد هذه القبائل تحت سلطته فرح قبائل المغول بتوحدهم وفرحوا بملكهم وأعجبتهم قوته ولقبوه بجنكيز خان وتعنى (سيد الحكام) في عام ٦٠٣ هجرية بدأ جنكيزخان في وضع قوانينه وعرفت (بدستور إلياسق) ومنها

الزانى ومرتكب اللواط يقتل ومن تجسس وكذب واستخدم السحر يقتل ومن بال في مال راكد او إنغمس في الماء يقتل ومن أطعم أسيرا يقتل ومن أكل ولم يطعم من عنده يقتل ومن وجد هاربًا ولم يرده لصاحبه يقتل . يذبح الحيوان بشق بطنه ثم يتناول قلبه بيده ، يجب أن يطيع الابن أباه وأخيه الأكبر يجب ان ينادى أى انسان باسمه مهما بلغت منزلته، وعلى المغولى الغنى أن يساعد المغولى الفقير، لا يغسل المنغولى ثيابه وإنما يظل يرتديها حتى تبلى .

اما ديانتهم فكانت تعرف بالشامية وتنص على الإستعانة بأرواح الموتى وأن الكهان والمنجمين هم من يسيطرون على الصلة بين الإنسان وأرواح الموتى وأن قتل البشر وسفك الدم يزيد في حسنات القاتل .

فى عام ٦١٦ هجرية توجه المغول إلى مملكة خوارزم واقتحموا مدينة بخارى وارتكبوا فيها مجازر يشيب لها الراس وقاموا بتخريبها ثم سمرقند ففعلوا بها مثلما فعلو ببخارى

وفى عام ٦١٧ هجريه هاجموا خرسان ودخلت ابنة جنكيز خان مدينة نيسابور وأمرت جنودها بقتل كل من رأوه حتى القطط والكلاب إنتقاما لزوجها الذى قتل أثناء حصار نيسابور .

إستمر جنكيز خان في إحتلال المدن الإسلامية ثم رجع إلى بلاده ومات في ٦٢٤ هج بعد أن أوصى بولاية العهد لولده أوكتاى

تمكن أوكتاى من إحتلال معظم الدول الإسلامية واستولى على إزربيجان وإرمينية ثم دخل موسكوا فأحرقها ثم واصل زحفه نحو أوروبا فاحتل بلغاريا وأوكرانيا وبولندا والمجر حتى وصلوا برلين عاصمة المانيا وهو موضع لم يصله غيرهم لا قبلهم ولا بعدهم ، وكانوا كلما مروا على مدينة قتلوا أهلها ونهبوها وخربوها

مات أوكتاى وخلفه ولده كيوك خان وبعد أن مات تولى ابن عمه مونكو خان حفيد جنكيز خان ووجه حملة منغولية بقيادة هولاكوعام ٦٥١ هج فاحتل إيران وقضى على دولة الحشاشين فيها ماعدا ابن الطوسى الذى تركه مستشاراً له ولما زين له دخول بغداد بإيعاز من العلقمى وزير الخليفة المستعصم بالله ، أرسل هولاكوا رسالة إلى الخليفة المستعصم ليستسلم ويفتح أبواب بغداد فرد الخليفة رداً قويًا أغضب هولاكو فاستشار مستشاريه وكان بينهم رجل يدعى حسام الدين وكان مسلماً سنيًا فأشفق على الخليفة وعلى بغداد وأهلها ولما رأى هولاكو يؤمن بالأساطير والخرافات قال له : ياسيدى إن هاجمت دولة الخلافة فستحل المصائب بالعالم وتغرب الشمس وتموت الخيول وينقطع المطر ولن ينبت العشب وسوف تحل الكوارث ويموت الخان الأعظم . . تردد هولاكوا ، لكن ابن الطوسى هون عليه الأمروجاء له بالأدلة التي تشجعه قال : انظر إلى التاريخ يامولاى إن الطاهر بن الحسين قتل الخليفة الأمين ولم يحدث له مكروه والأتراك قتلوا الخليفة المتوكل ولم يحدث لهم مكروه . وهنا أمر هولاكوا جيوشه بالتحرك وقام بمحاصرة بغداد في ٢٢ من محرم ٦٥٦ هج

كان جيش المغول تعداده مائتى ألف مقاتل وأخذ العلقمى ينقل الأخبار لهولاكو ويثبط من عزيمة الجيش العباسى ويخبرهم أن جيش المغول كبير جداً وشرس وأن لا قبل لهم بالمغول وأنهم فتحوا بلاد كذا وكذا وارتكبوا فيها المجازر ولم يستطع أحد إلى الآن هزيمتهم، وبمشورة العلقمى أيضا خرج الخليفة ومعه ألف ومائتى من أقاربه ومقربيه وجنوده للقاء هولاكو والتفاهم معه فطمئنهم هولاكو وأكرم ضيافتهم وأمر الخليفة أن

يجعل جنوده يضعون سلاحهم ففعلوا فخدعهم هولاكو وأمر بأعمال السيف فيهم فقام رجاله بقتلهم جميعًا واحتجز هولاكوا الخليفة المستعصم بالله

وفى السابع من صفر من نفس العام اقتحموا بغداد فقتلوا الرجال والنساء حتى صارت شوارع بغداد كأنها أنهار دماء حتى مزاريب المنازل كانت تصب دماءًا، ونهبوا البيوت وخربوا القصور والجوامع والمكتبات فأخذوا يرمون الكتب في نهر دجلة ليصنعوا جسرًا تمر عليه خيولهم

استمر القتل ثلاثة أيام وبلغ عدد القتلى حوالى مليون قتيل كثرت الجثث فكثرت الأوبئة فترك المغول بغداد وغادر هولاكوا إلى أزربيجان مقر حكمه بعد أن أمر بقتل الخليفة المستعصم بالله فقتل رفسا في كيس حيث وضعوه في كيس ورمى بالكيس تحت أرجل الخيل وكان ذلك أيضا في شهر صفر من عام ٦٥٦هـج . وقدم السلاطين المسلمون ينحنون أمام هولاكوا يهنئونه ويعلنون ولاءهم ويتوددون إليه خوفا من بطشه حتى أن ركع أمامه كيكاوس السلجوقى وقال : أرجوا أن تشرف رأس عبدك بوضع قدمك المباركة عليه

أما العلقمى فقد مات في نفس العام بعد أن فعل كل هذا حقدا على أهل السنة وخيانة للإسلام والخلافة الإسلامية .

******

بدأ هولاكوا يجهز لغزو الشام ومصر بإغراء من ملك الأرمن النصرانى جيثوم ، فأمده بجيش وأبدى تعاونه معه فتحرك عام ٦٥٧هج وكانت المدن الإسلامية تستسلم بسهولة أمامهم حتى وصلو إلى حلب فحاصروها ودخلوها في صفر عام ٦٥٨ هج ، فارتكبوا فيها المجازر ثم انتقلوا إلى حماة والمعرة وحمص وقتلوا من أهلها الكثير أيضا ، ثم دمشق ونابلس وغزة ، ثم اتجهوا إلى مصر ، لكن هولاكوا وصله خبر وفاة الخان الأعظم

ابن عمه "مونكو خان" ودب خلاف بين هولاكوا وابن عمه "بركة خان" ، حيث أنه اعتنق الإسلام واختلف مع هولاكوا بسبب المجازر التي يرتكبها في حق المسلمين(كان اعتناق بركة خان للإسلام في عهد جده جنكيز خان ويقال أنه هو من وضع السم لجده انتقاما للمجازر التي إرتكبها جنكيز خان في حق المسلمين) . .

عاد هولاكوا إلى أزربيجان بينما ترك جيشه بقيادة القائد النصرانى كيتوبوغا لغزو مصر فتصدى له المماليك والمصريين بقيادة السلطان قطز فهزموهم شر هزيمة ، وقتلوا قائدهم وتتبعوهم فقتلوا كل من وجدوه منهم وبذلك كسروا شوكة المغول التتار لأول مرة بعد أن رووا الأرض بدماء المسلمين سميت هذه المعركة بمعركة "عين جالوت" وكانت فى٢٥ رمضان عام٦٥٨ هج (٣ سبتمبر ١٢٦٠ م)

وفى العام ٦٦٠ هج بدأت أعداد كبيرة من المغول يدخلون الإسلام ، بينما اشتد الخلاف بين بركة خان وهولاكوا وصار لكل منهم جيش كبير وتقابلا في معركة عظيمة عام ٦٦١ هج وكانت الغلبه لجيش بركة خان وفى عام ٦٦٢ مات هولاكوا وتولى ابنه "ابغا" من بعده الذى تجمع بجيشه عند نهر الفرات فتحرك لمقاتلته السلطان الظاهر بيبرس فهزمهم شر هزيمة وتتبعهم فكانوا يفرون من أمام جيش المسلمين تاركين أسلحتهم ومؤنهم . .

وفى عام ٦٧٦هج عاد المغول لمهاجمة المسلمين فاتفق ملك دمشق سنقر الأشقر مع الملك العادل ملك مصر واتحدا ضد المغول في معركة حمص في رجب ٦٨٠هج

وهزموهم شر هزيمة واعملوا فيهم السيوف ووقعت مجزرة فيهم وتتبعوهم وأسروا منهم وتعتبر معركة حمص لا تقل أهمية في نظر المؤرخين عن معركة عين جالوت، وكانت معركة فاصلة بين المسلمين والمغول بعدها مات أبغا بن هولاكو غما وحزنا

وفى العام ٦٩٩هج هاجم المغول مرة أخرى بلاد الشام بقيادة قازان ومعهم نصارى الأرمن وسميت الواقعة بمعركة قازان فكانت الغلبة للمغـول وفـر المسـلمون إلى دمشـق فتحصنوا بها، فتبعهم المغول وحاصروهم وبات اهل دمشق في خوفـا شـديد، وضـاق الحال واشتد الغلاء وهرب أعيان البلد إلى مصـر، ولم يبقـى إلا علـم الـدين أرجـواش نائب القلعة الذى أبى أن يسلمها للتتار، دخل التتار دمشق بعد أن أخـذ الشـيخ "تقـى الدين بن تيميه" لهم الأمان من هولاكوا أما أرجواش فقال: لن أسلم القلعة وفيها عين تطرف فأرسل الشيخ ابن تيمية إلى أرجواش يقول له: لا تسلمهم القلعـة حتـى لـو لم يبقى فيها حجر واحد..

اشتد عبث التتار بدمشق وفرضوا الضرائب الباهظة والجبايات، وأخذوا الكثير من أموال أهل دمشق وأوقافهم ونهبوا مدينة الصالحية وغيرها من مدن الشام...

بدأت جماعات من المسلمين يخرجون من قلعة دمشق فيهـاجمون التتـار، ويقتلـون منهم ويخربون ثم يرجعون ونادى أرجواش في النـاس أن أخرجـوا أسـلحتكم والزمـوا الأبواب والأسوار، وكان الشيخ بن تيمية يدورعلى الأسوار يحرض الناس على الصـبر والقتال ويتلوا عليهم آيات الجهاد وتحرك الجيش المصرى متجهًا إلى الشام لقتـال المغـول مع إخوانهم في الشام وكان ذلك في عهد السلطان الناصر محمد بن قولون..

انزعر المغول وخافوا وفروا هاربين وتركوا حصار دمشق وتوجه الشـيخ بـن تيميـه ومعه أصحابه فأراقوا الخمور وأغلقوا الحانات التي كان يقدم فيها الخمر والمفاسد واللهو وعزروا أصحابها وأمسكوا بالخونة من المتعاونين مع التتار من الشيعة وغيرهم فنكل بهم فشنق بعضهم وقطع السنة بعضهم، ففـرح النـاس ونـودى أن تـزين الـبلاد لاسـتقبال العساكر المصرية

وفى عام ٧٠٢ هج عاد المغول لمهاجمة المسلمين وقام الشيخ بن تيمية مرة أخرى يبث في الناس الحماسة للجهاد ومقاتلة المغول وتجمع جيش الشام ومصر مرة أخـرى فـالتقوا

عند نهر الفرات ، واقتتل الطرفان في موقعة سميت (موقعة شقحب) وفى هـذه المعركـة حارب المسلمون بشجاعة واستبسـال وأعملـوا سـيوفهم في المغـول ، فـاثخنوهم قـتلاً وجرحًا ففروا إلى الجبال فحاصرهم المسلمون وقتلو فيهم وأبادوه

وهُزم المغول للأبد

******

تيمورلنك:

بعد أن دخل الكثير من المغول الإسلام ظلت بعـض المـدن الإسـلامية تحـت حكـم المغول وخاصة العراق وفارس لكنهم كانوا يطبقون دستور الياسـق بـدلاً مـن الشـريعة الإسلامية وكانت سيرتهم دموية للغاية ،وفى القرن الثامن الهجـرى ظهـر قائـد مغـولى مسلم لكنه أيضا سفاح ويعمل بدستور الياسق . . بدأ بمهاجمـة المغـول الغـير المسـلمين وهزمهم وكانت فارس والعراق آن ذاك يحكمها أحمد بـن أويـس الجلايـر مغـولى مسـلم ،وكان مقر حكمه في بغداد استنجد أهل بغداد بتيمورلنك ليخلصهم من أحمـد الجلايـر الظالم وليتهم ما استنجدوا .

تحرك تيمورلانك فهاجم مدينة أصـفهان في فـارس عـام ٧٨٨ هجريـة وقتـل فيهـا سبعين الفًا ، ثم مدينة تبريز فقتل عشرة آلاف ، ثم اتجه إلى بغداد فدخلها في شوال ٧٩٥ هجرية ، فر أحمد الجلاير بينما قتل تيمورلنك ثلاثة آلاف نفس ونهب المدينـة وفـى عـام ٨٠٣ هجرية إتجه الى حلب فهزم المماليك ودخلها فخرب وقتل وفـى جمـادى الأول مـن نفس العام دخل دمشق وارتكب فيها مجازر ضد المسـلمين تشـيب لهـا الـرأس وخربهـا وأحرقها ولعله أدعى الإسلام ولم يكن مسـلمًا بالفعـل أو لعلـه بعـد أن أسـلم أعتنـق المذهب الشيعى فأراد سفك دماء المسلمين السـنة فقـد كـان معظـم جيشـه مـن الشـيعة والروافض كما إنه حين سئل عما فعله في دمشق قـال : إن أجـدادهم وقفـوا إلى جانـب معاوية ضد علي بن أبي طالب ـ رضى الله عنهماـ

ثم عاد إلى بغداد ودخلها مرة أخرى في ذى القعدة عام ٨٠٣ هج فأعمل فيها القتل وارتكب مجازر مهولة حتى بنى من رؤس القتلى مايشبه الجبل أو الهرم ، ثم دمر وخرب فيها . .

وبعد ذلك اتجه تيمورلنك عام ٨٠٣ هج إلى محاربة الخليفة العثمانى بايزيد الأول لأنه رفض تسليمه أحمد الجلاير الذى لجأ إليه وكانت الغلبة لجيش تيمورلنك سميت الواقعة بموقعة أنقره .

بعد أن استقر الأمر لتيمورلنك واتخذ سمرقند مقر له فكر في إعادة التوسع فأعد العدة لغزو الصين متجاهلاً نصائح الأطباء له فبدأ في الغزو عام (٨٠٧ ه – ١٤٠٤م) وكان الجو شديد البرودة ولم تتحمل صحته البرد القارس فأصيب بالحمى التي أودت بحياته . . مات تيمور لنك بعد أن أخضع له البلاد من دلهى إلى دمشق ونقل جثمانه إلى سمرقند حيث دفن في ضريحة المعروف الى الآن "بكور أمير" أى قبر الأمير .

******

-٣-

الصفويون:

ينسب الصفويين إلى "صفى الدين" شاه (ملك) إيران وكان سنيا ثم تشيع وأنجب ولد اسمه إسماعيل صار شيعيا متشددا أكثر من أبيه ولما خلف أبيه في حكم إيران فرض الشاه اسماعيل الصفوى المذهب الشيعى على أهلها فقام بقتل جميع علماء السنة واستقدم علماء الشيعة من الإحساء وجنوب لبنان فصار مرجع العامة من الناس مرجعا شيعيا وقتل آلاف من الإيرانيين الذين رفضوا أن التشيع ومن هنا صارت إيران دولة شيعية الى يومنا هذا ، وسميت بالدولة الصفوية ثم قام جيش الدولة الصفوية بمهاجمة

بغداد واحتلالها وقتل علماء السنة وفرض المذهب الشيعى على أهلها، ولما علم السلطان سليم الاول بذلك تحرك بجيش لحرب الصفويين وتقابلوا في معركة تجالديران عام ٩٢٠ هج ١٥١٤م ودارت المعركة بين الجيش العثمانى بقيادة سليم الاول والجيش الصفوى بقيادة الشاه اسماعيل الصفوى وهزم الصفويين شر هزيمة وفر الشاة إسماعيل ،وفى العام ٩٤١هج في عهد الخليفة العثمانى سليمان الاول استطاع الجيش العثمانى أن يدخل مدينة تبريز عاصمة الدولة الصفوية كما دخل بغداد وأقر المذهب السنى واكرم علماء السنة وفى عام ٩٤٥ هجرية ١٥٤٦م استطاع العثمانيين تحرير البصرة وكثير من المدن الإسلامية من قبضة الصفويين. . يرجع إلى إسماعيل الصفوى أنه هو من أدخل على الأذان جملتى (اشهد أن عليا ولى الله ، حى على خير العمل) ،كما أنه هو من عمل مجالس العزاء في عاشوراء(شعائر الحسينيات)، كما أمر بتطوير قبور بعض الأئمة وجعل من "قم" أكبر مركز دينى للشيعة.

وفى عام ١٠٤٢هج ١٦٣٢م قامت الدولة الصفوية في إيران بمهاجمة مدينة بغداد مرة أخرى واحتلوها وذلك كان في عهد الخليفة العثمانى مراد الرابع ثم احتلوا الكاظمية والكوت والعمارة وكربلاء وظلت تحت حكمهم حتى عام ١٠٤٨هج وعندما استقر الأمر للخليفة مراد الرابع جهز جيش كبير وحملة عسكرية وقام بمحاربة الصفويين وطردهم واسترد بغداد وباقى المدن. .

******

الفصل السادس

-١-

المماليك:

بعد فشل الحملات الصليبية واحدة تلو الأخرى في التواجد في قلب الدولة الإسلامية وإضعافها ومن ثم التوسع والقضاء عليها فكر الإستعماريين في إضعاف الدولة الاسلامية بالإستيلاء على أطرافها فمن ناحية الغرب اتحدت الدول الصليبية وأسقطت الأندلس وتم الإستيلاء عليها ومن ناحية الجنوب احتل البرتغاليون- بعد اكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح - مواقع هامة في اليمن وعمان ومن ناحية الشرق كان الصفويون الشيعة الذين تحالفوا مع البرتغاليين ضد المسلمين السنة .

فى البداية كانت العلاقة بين المماليك والعثمانيين علاقة ود وتحالف حيث إشتركا أسطولا الدولتين في الحرب ضد البرتغاليين ، لكن بعد ذلك وفى أثناء إستعداد الدولة العثمانية لمحاربة الصفويين بدءا كل طرف من الطرفين في محاولة إستمالة المماليك للإستعانة بهم ضد الطرف الآخر فأرسل الشاه إسماعيل الصفوى إلى قنصوة الغورى يخوفه ويحذره من سليم الاول وبأنه إن هزم الصفويين سيحاول ضم الشام ومصر أما السلطان سليم الأول فقد أرسل إليه يحثه على التحالف معه ضد توسعات الشيعة الصفويين أعداء الدين . . لم يستجب قنصوة الغورى لدعوة سليم الأول بل إن أحد الولاة التابعين للمماليك وهو علاء الدولة " أمير سلالة ذا القدر التركمانية " والذى رفض أيضا التحالف مع العثمانيين متعللا بكبر سنه ووقوعة تحت حماية المماليك قام هذا الوالى بعد انصراف الجيش العثمانى بمهاجمة مؤخرته فأرسل السلطان سليم الأول إلى قنصوة الغورى يعلمه بما حدث فرد بأن علاء الدولة عاص ومتمرد على الحماية المملوكية لكن على الجانب الآخر أرسل قنصوة الغورى إلى علاء الدولة يشكره على

مافعل ويثنى عليه ويطالبه بالمزيد من الهجمات والمناوشات للجيش العثمانى حينها غضب السلطان العثمانى وقرر تأديب المماليك وضم الشام ومصر . . حاول قنصوة الغورى تهدئة الأمر بينه وبين سليم الأول وخاصة بعد انتصار الأخير في معركة تجالديران مع الصفويين ، لكن دون جدوى . .

أرسل سليم الأول إلى الولاة في الشام يستميلهم ويعدهم ببقائهم في إمارتهم إن كانت له الغلبة . . تحرك السلطان سليم الاول للقاء المماليك فلم يجد قنصوة الغورى بد من لقاءه فخرج على رأس جيشه إلى " مرج دابق " بالقرب من حلب في رجب عام ٩٢٢هج – أغسطس ١٥١٦م انضم إليه قوات من الشام وتقابل الجيشان وفى البداية أظهر الفرسان المماليك براعة وبسالة في القتال وكبدوا العثمانيين خسائر فادحة جعلت سليم الاول يكاد أن يتقهقر لكن انقسام حدث في صفوف الفرق المحاربة في المماليك وانضم بعضهم للجيش العثمانى بقيادة القائد المملوكى " خايربك " كما أنه سارت شائعة موت قنصوة الغورى فتزعزعت عزيمة الجيش المملوكى وكانت الغلبة للجيش العثمانى وخاصة لتفوق سلاح المدفعية لديه ، وقع السلطان قنصوة الغورى من على فرسه ميتًا حين رأى الهزيمة ، وقام أحد رجاله المحبين بإخفاء جثته ودفنها في مكان غير معلوم خوفًا من التمثيل بها . .

دخل سليم الأول باقى مدن الشام دون قتال اذ سلموا له وفتحوا له الأبواب . . ثم واصل الزحف إلى مصر والتقى مرة أخرى بالجيش المملوكى بقيادة طومان باى وهزمهم في موقعة الريدانية في ذى الحجة عام ٩٢٢هج –يناير ١٥١٧م ودخل القاهرة وهكذا استطاع سليم الأول ضم مصر والشام إلى خلافة موحدة بعد أن كان قد أعلن أحمد بن طولون استقلال مصر عن الخلافة العباسية منذ عام ٢٥٩ هج ثم ضم خمارويه ابنه الشام عام ٢٧١هج في معركة " الطواحين " .

وبعد دخول مصر والشام الى خلافة العثمانيين أهدى شريف الحجاز الشريف "بركات الثانى" مفاتيح الحرمين الشريفين لسليم الأول إعترافا منه بالخلافة العثمانية على العالم الإسلامى . . هناك من المؤرخون من يقول أن السلطان العثمانى كانت تدفعه الأطماع وأنه ضم الدول الإسلامية بدافع إستعمارى توسعى، وهناك من يقول أنه كان يريد توحيد الأمصار الإسلامية وجمعها على كلمة واحدة وتحت راية واحدة . . لكن الله وحده أعلم بنواياه

******

-٢-

الدولة العثمانية:

استطاعت الدولة العثمانية خلال ستة قرون أن تعيد الأمجاد للخلافة الإسلامية واستطاعت بقوتها العسكرية وحميتها أن تحمى حدود الدول الإسلامية فهزمت الصفويين والصليبيين بل كان لهم تاريخ عظيم في الفتوحات والجهاد وكان الغرب والشرق يعملون لها ألف حساب فلا يتجرأون على مهاجمة ولو إحدى الدويلات التابعة لها كما حمت المقدسات الإسلامية ولوحظ التطور العمرانى القوى في الأقطار العربية كما نشطت التجارة في حوض البحر المتوسط . . ولكن هذه الدولة ـ ولا نعلم إن كان عن عمد أو جهل ـ قد شجعت التصوف وتعظيم الأولياء والقبور

قال (عبد العزيز الشناوى في كتابه(الدولة العثمانية المفترى عليها) : (وقد كان من مظاهر الإتجاه الدينى في سياسة الدولة تشجيع التصوف بين العثمانيين وقد تركت الدولة مشايخ الطرق الصوفية يمارسون سلطات واسعة على المريدين والأتباع وانتشرت هذه الطرق أولا انتشاراً سريعًا في (آسيا الوسطى)ثم انتقلت إلى معظم أقاليم الدولة . . وقد

مدت الدولة العون المالى إلى بعض الطرق الصوفية وكان من أهمها الطرق الصوفية " النقشبندية و " المولوية " و " البكداشية " و " الرفاعية " . . . . . "

وقال (محمد قطب) في كتابة (واقعنا المعاصر) : لقد كانت الصوفية قد أخذت تنتشر في المجتمع العباسى . ولكنها كانت ركنا منعزلاً عن المجتمع ، أما في ظل الدولة العثمانية ، وفى تركيا بالذات فقد صارت هى المجتمع وهى الدين .

وفى كتاب " الفكر الصوفى في ضوء الكتاب والسنة

: (وتنافس السلاطين العثمانيين في بناء التكايا والزوايا والقبور والبكداشية فبينما ناصرها بعض السلاطين و عارضها البعض الآخر مفضلين طريقة أخرى غيرها .)

فانتشرت تلك المذاهب والتصوف والخرافات في جميع البلدان التي تقع تحت ظل الدولة العثمانية في مصر والشام والحجاز والعراق واليمن وغيرها . . فكانو يقيمون الولائم ويذبحون الذبائح ويدعون الأولياء برفع الضر أو بجلب الخير

ولقد راسل أئمة الحجاز بعض ولاة الدولة العثمانية بأن هذا شرك بالله ويدعوهم إلى هدم تلك الأضرحة والرجوع إلى التوحيد فهذه رسالة الإمام سعود بن عبد العزيز إلى والى العراق يقول فيها : (فشعائر الكفر بالله والشرك هى الظاهرة عندكم مثل بناء القباب على القبور وإيقاد السرج عليها وتعليق الستور وزيارتها بما لم يشرعه الله ورسوله واتخاذها عيداً وسؤال أصحابها قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة الملهوف هذا مع تضييع فرائض الدين التي أمر الله إقامتها من الصلوات الخمس وغيرها فمن أراد الصلاة صلى وحده ومن تركها لم ينكر عليه وكذلك الزكاة ، وهذا أمر شاع وذاع وملأ الأسماع في كثير من بلاد الشام والعراق ومصر وغير ذلك من البلدان)

ولما رد عليه والى العراق بقوله (كيف التجرى بالغفلة على إيقاظ الفتنة بتكفير المسلمين وأهل القبلة ومقاتلة قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر) قال الإمام سعود : (قد

قدمنا أننا لا نكفر بالذنوب وإنما نقاتل من أشرك بالله وجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله ويذبح له كما يذبح له وينذر له كما ينذر لله ويخافه كما يخاف الله ويستغيث به عند الشدائد وجلب الفوائد ويقاتل دون الأوثان والقباب المبنية على القبور التي اتُخذت أوثانا تعبد من دون الله، فإن كنتم صادقين في دعواكم أنكم على ملة الإسلام ومتابعة الرسول صل الله عليه وسلم فاهدموا تلك الأوثان كلها، وسووها بالأرض وتوبوا إلى الله من جميع الشرك والبدع. ثم قال: وأما إن دمتم على حالكم هذه ولم تتوبو من الشرك الذى أنتم عليه وتلتزموا بدين الله الذى بعث الله ورسوله وتتركوا الشرك والبدع والخرافات لم نزل نقاتلكم حتى ترجعوا دين الله القويم)

ولهذا فقد أنكر بعض أئمة الدعوة وعلمائها أن تذكر الدولة العثمانية بأنها "خلافة إسلامية". وهكذا ظهرت الحركة الوهابية في السعودية عام ١٨٠٥م ١٢١٧هج وهى حركة إصلاح وتوعية دينية شملت السعودية كلها ثم بدأت تهاجم الدول الأخرى بالسلاح لتفرض سيطرتها ثم تعاليمها وبدأت بهدم الأضرحة التي يتقربون اليها الكثير من الجهال وقد قاومها الكثير من الذين كانو يتمسكون بالتبرك بأولياء الله وبقبورهم. أعتبر السلطان العثمانى الحركة الوهابية خطر على الدولة العثمانية فحاربها

******

ـ٣ـ

نابليون بونابارت:

بعد قيام الثورة الفرنسية والتى قامت على الحرية والمساواة والعدل والإخاء وكل هذه المبادئ السامية نسى قادة الثورة مبادئهم ودفعهم الطمع والغرور إلى التطلع للسلطة والشهرة والثراء إلى غزو وقهر غيرهم من الشعوب والإستيلاء على ثرواتهم ومنهم

نابليون برونابرت القائد العظيم وكان بيتهوفن الموسيقار الألمانى الشهير شديد الإعجاب بنابليون بعد الثورة بسبب بطولاته لتحرير بلاده ولهذا أهدى له سيمفونيته الثالثة سيمفونية البطولة (هايروبيكا) المشتق اسمها من لقب هيرو Hero بمعنى بطل وكتب الإهداء أسفل النوتة لنابليون ،لكن هذا الإعجاب تحول إلى سخط وكره واحتقار لما رأى طمع نابليون في السلطة والشهرة وطغيانه مثله مثل كل الأباطرة والطغاة٠ فأخذ يضرب بقلمه على الإهداء ويخربش اسم نابليون بعنف حتى كاد أن يمزق النوتة لولا أن خطفها أحد تلاميذه ثم غير الإهداء إلى هذه العبارة(إلى ذكرى بطل)

******

نابليون في مصر:

لما دخل الجنرال نابليون مصر عام ١٧٨٩م بغرض جعلها نواة لإمبراطورية فرنسية في الشرق واستغلال ثرواتها في غزواته كما ذكر في وثيقة هامة عن حلمة في حكم مصر وحفر قناة تربط بين البحر الأحمر والمتوسط ، وألا يجعل قطرة واحدة من النيل تضيع في البحر ،وأن يجعل مصر نواة لإمبراطورية عظيمة تصل لإيران وأفغانستان يقول: لست أقل من الإسكندر الأكبر غير أنى حزين لأنه غزا مصر وهو في سن السادسة والعشرون بينما أنا في الثامنة والعشرون"

توجه نابليون إلى مصر باسطول من ٣٠٠ سفينة تحمل جيش قوامه ٣٦ الف جندى فاستولى على جزيرة مالطا ثم وصل إلى الإسكندرية في أول يوليو ١٧٨٩ ولاقى مقاومة من أهلها وعلى رأسهم حاكمها محمد كريم دامت ساعات تقهقر بعدها محمد كريم إلى قلعة قيتباى واعتصم بها ثم وجد أنه لامفر من التسليم ودخل نابليون المدينة وأعلن بها الأمان ثم أمر بتنفيذ حكم الإعدام في محمد كريم في ميدان الرميلة بالقاهرة ، ووجهت الحملة نداءاً إلى المصريين بالتسليم والتزام الهدوء والتعاون مع نابليون الذى جاء

ليخلصهم من المماليك كما أعلنوا كذبًا للناس أن نابليون قد أعتنق الإسلام وحاول نابليون تقديم الأدلة على أنه أسلم هو وجنده وأنه يقدر السلطان العثمانى ويحترمه وسُمى " الجنرال على " ودخل القاهرة في ٢٤ من يوليو عام ١٧٨٩م فأعلن أحترامه للشريعة الإسلامية ومنع جنوده من السلب والنهب غير أنه استمر في تحصيل الضرائب التي فرضها المماليك ،ولبس الجلباب والعمامة وكان يذهب لصلاة الجمعة لم ينطلى على المصريين إدعاء نابليون إعتناقه للإسلام فقاوموه ففى ٢٢ أكتوبر١٧٨٩ م قام سكان القاهرة بثورة ضد الإحتلال الفرنسى فأمر نابليون بقمع المتظاهرين وأمر أن تضرب القاهرة بالمدافع الموجودة على جبل المقطم

فدكت متاريس وتحصينات الثوار وأمر أن يُضرب الأزهر بالمدافع لكونه مركز تجمع الثوار ودخلت الجنود الفرنسيين بخيولهم الأزهر وقتلوا كل من وجدوه وحرقوا الكتب حتى توسل له شيوخ الأزهر بوقف القمع

نابليون في الشام:

لما علم نابليون بأن العثمانيين يعدون جيشًا لإستعادة مصر قرر قبول التحدى وأن يستمر في تحقيق حلمه فسار لإحتلال الشام بثلاثة عشر ألفا من الجنود في ١٠ فبراير عام ١٧٨٩م ، فاجتاز العريش وعبر صحراء سيناء متحملا وجنوده الحر والعطش ، ولما وصل غزة استظل بأشجارها الوارفة فأكل وشرب هو وجنوده ، ثم وصل إلى يافا في ٣ مارس وكان يدافع عن أسوارها ٤٠٠٠ آلاف جندى تركى من ذوى البأس لكن جنود نابليون استطاعوا إقتحام المدينة عن طريق فتحة صنعوها في السور فقتلوا وسلبوا وأرسل نابليون يعرض حق الخروج الآمن لكل من يستسلم فقرر الجنود الإستسلام وتسليم أسلحتهم حفاظا على أهل المدينة وسيقوا أسرى إلى نابليون فرفع يديه فزعًا وقال : " ماذا يمكننى أن أعمل معهم؟ " كان نابليون يفكر في صعوبة توفير الطعام لهؤلاء الأسرى

فالزاد معه ومع جنوده لا يكفي كل هؤلاء كما أنهم يحتاجون لعدد كبير من الحراسة ليصلوا بهم إلى السجن في القاهرة وفكر أنه لو أطلقهم ربما عادوا لمحاربته فاجتمع نابليون بالقادة مساعدية فأشاروا عليه بقتل الأربعة آلاف جندى طعنا بالحراب توفيرا للذخيرة، وبالفعل قاموا بقتل الجنود بهذه الطريقة . .

استمر نابليون في زحفه ووصل إلى أسوار عكا في ١٨ مارس من نفس العام لكنه فشل في إقتحامها نتيجة المقاومة الشديدة بقيادة أحمد باشا الجزار بمساعدة الإنجليز الذين كانوا يمدون المقاومة بالمؤن والعتاد عن طريق البحر ، وبعد حصار دام شهرين وبعد أن تكبد خسائر فادحة أمر نابليون بالرجوع إلى مصر وقال: إن خيالى قد تحطم على أسوار عكا . . ثم عاد إلى فرنسا سرا بعد سلسلة من الهزائم لحقت به وبجيشه وولى من بعده على مصر القائد كليبر الذى قتله الشاب سليمان الحلبى ثم تولى القائد مينو الذى أعلن إسلامه وسُمى عبد الله جاك مينو وتزوج من زبيدة ابنة أحد أعيان رشيد لكن مينو فشل في مقاومة جيوش العثمانيين والجيوش البريطانية فقام بتوقيع اتفاقية التسليم مع بريطانيا على أن يخرجوا بكامل عدتهم على سفن إنجليزية . بعد تحطم الأسطول الفرنسى في موقعة أبى قير البحرية

******

-٣-

محمد على باشا

حكم محمد علي مصر من الفترة م١٨٠٥ الى ١٨٤٨م بعد أن ثار الشعب علي خورشيد باشا و بايعه أعيان البلاد ومشايخها وكبرائها

ورغم أنه قد جرت العادة في الدولة العثمانية ألا تترك واليا على مصر أكثر من عامين إلا أن محمد على باشا الذى لقب بعزيز مصر إستطاع بذكائه واستغلال الظروف

المحيطة به أن يستمر في حكم مصر لأكثر من أربعون عامًا جاءت لمحمد علي باشا دعوة من الباب العالي "السلطان مصطفى الرابع" لإرسال حملة للقضاء علي حركة الوهابيين في نجد (الحجاز)، خاف محمد على أن يخرج لحرب الوهابيين فيثير المماليك القلاقل في البلاد أو يحاولون الإستيلاء على السلطة في مصر، فدعا زعماء المماليك إلي القلعة بحجة التشاور معهم وتكريم الجيش الذاهب للحملة، وفي يوم الحفل ١ مارس ١٨١١' استعد 'محمد علي' للحفل وجاء زعماء المماليك في أبهى زينة يركبون جيادهم. وبعد أن انتهي الحفل الفاخر والطعام والشراب دعاهم محمد علي لكي يمشوا في موكب الجيش الخارج للحرب.

يتقدم الموكب جيش كبير من الجياد التي يركبها جيش محمد علي باشا بقيادة ابنه 'طوسون'، ثم طلب محمد علي من المماليك أن يسيروا في صفوف الجيش لكي يكونوا في مقدمة مودعيه. وكانت الأرض متعرجة والرؤية صعبة ومحجوبة علي أمراء المماليك حيث كان يسير أمامهم جيش كبير من الرجال.

وفي هذه اللحظة خرج الجيش من باب القلعة نحو باب (العزب) وأغلقت الأبواب، أما الحراس الذين كانوا يعطون ظهورهم للمماليك استداروا لهم، وانطلقت رصاصة في السماء، ! فكانت هذه هي الإشارة، وانهال الرصاص من كل جهه علي المماليك. ويقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى في كتابه" تاريخ عصر المماليك (قام محمد علي بدعوة أعيان المماليك إلى احتفال كبير بمناسبة تنصيب ابنه طوسون على رأس حملة متجهة إلى الحجاز لمحاربة الوهابيين، وقد لبى المماليك الدعوة وركبوا جميعا في أبهى زينة وأفخم هيئة، وكان عدد المدعوين حينها يزيد على عشرة آلاف شخص من كبار القوم ومختلف الطوائف، وسار الإحتفال على ما كان عليه الحال حينها في مثل هذه المناسبات من طعام وغناء إلى أن نادى المنادي برحيل الموكب، فعزفت الموسيقى وانتظم قرع الطبول، عندئذ نهض المماليك وقوفًا، وبدأ الموكب يسير منحدراً من القلعة، وكان يسبق المماليك

كوكبة من جنود محمد علي باشا ومن ورائهم كان يسير جنوده الفرسان والمشاة وعلى إثرهم كبار المدعوين من أرباب المناصب المختلفة.

سار الموكب منحدراً إلى باب "العزب"، ولم يكد هؤلاء الجنود يصلون إلى الباب حتى ارتج الباب الكبير وأقفل من الخارج في وجه المماليك وتحول الجنود بسرعة عن الطريق، وتسلقوا الصخور على الجانبين، وراحوا يمطرون المماليك بوابل من الرصاص، أخذت المفاجأة المماليك وساد بينهم الهرج والفوضى، وحاولوا الفرار، ولكن بنادق الجنود كانت تحصدهم في كل مكان، ثم انهالت الطلقات مدوية من أمامهم ومن خلفهم ومن فوقهم تحصد أرواحهم جميعًا بلا رحمة، حتى قيل أن عدد القتلى في هذه الواقعة قارب الخمسمائة ومن نجا منهم من الرصاص فقد ذُبِح بوحشية، فقد سقط المماليك صرعى مضرجين في دمائهم، حتى امتلأ فناء القلعة بالجثث، ولم ينج ـــ كما يقال ـــ من هذه المجزرة سوى أمين بك الذي هرب بحصانه من فوق أسوار القلعة، واختلف حوله المؤرخون فقيل أنه كان في مؤخرة الركب لما شعر ببداية إطلاق النار قرر الفرار إلا أنه لم يكن أمامه سوى سور القلعة لذلك أخذ فرسه وقفز به من فوق سور القلعة وسقط حتى اقترب من الأرض قفز من فوق حصانة ليترك حصانة يلقى مصيره بينما نجى هو واتجه بعدها إلى بلاد الشام.

بينما كان هناك مملوك آخر يدعى علي بك السلانكلي لم يحضر الحفلة بسبب انشغاله في إحدى القرى وبالتالي لم ينج سوي هذين المملوكين. . .

وصل خبر تلك المذبحة إلى الجماهير المحتشدة في الشوارع لمشاهدة الموكب فسرى الذعر بينهم، وتفرق الناس، وأقفلت الدكاكين والأسواق، وهرع الجميع إلى بيوتهم، وخلت الشوارع والطرقات من المارة، وسرعان ما انتشرت جماعات من الجنود الأرناؤوط في أنحاء القاهرة يفتكون بكل من يلقونه من المماليك وأتباعهم، ويقتحمون بيوتهم فينهبون ما تصل إليه أيديهم، وتجاوزوا بالقتل والنهب إلى البيوت المجاورة.

وكثر القتل، واستمر النهب، وسادت الفوضى ثلاثة أيام، قُتل خلالها نحو ألف من المماليك ونُهب خمسمائة بيت، ولم يتوقف هذا إلا بعد أن نزل محمد علي إلى شوارع المدينة، وتمكن من السيطرة على جنوده وأعاد الإنضباط. وهكذا استطاع محمد علي باشا الإنفراد بالحكم..

بقي مكان مذبحة القلعة الذي ما زالت تخيم عليه رائحة الموت شاهدا على ما حدث، ورغم مرور كل هذه السنوات فما زال يشعر كل من يعبر أمامه بالرهبة والانقباض وكأنه يحتفظ بين أحجاره وزواياه بصرخات المستغيثين من الموت).

******

الفصل السابع

-١-

فرنسا في الجزائر:

كانت فرنسا ترنو إلى احتلال الجزائر منذ عهد نابليون بونابرت فبعد أن فشل نابليون في إحتلال مصر كان يريد أن يعوض خسارته باحتلال الجزائر وإقامة محميات بها، ثم يتوسع شرقًا ، وأرسل أحد ضباطه (الضابط بوتان) عام ١٨٠٨م ليضع خطه لاحتلال الجزائر وقد وضعها ضابطه بالفعل وسلمها له لكن هذا الحلم تم تأجيله بعد هزيمة وترلو عام ١٨١٥م

من الأسباب الرئيسية التي دفعت فرنسا لاحتلال الجزائر هو الطمع في استغلال ثرواتها الكثيرة فهى تمتاز بإستخراج حجر المرجان المتوافر بكثرة عند شواطئها وخاصة شاطئى القالة وعنابة وأيضا لاسغلال خصوبة أرضها وانتاجها الوفير من العنب ومن أجل التنقيب عن الذهب ومن أحد أهم الأسباب أيضا لهذا الإحتلال سبب دينى إذ أن الجزائر كانت متعاونة مع الدولة العثمانية ومؤيدة لها كخلافة إسلامية وتقع تحت لواءها فكان تعاونها يصل إلى مدها بالمؤن والعتاد في حروبها وفى حفاظها على الأراضى الإسلامية وكان للجزائر أسطول حربى ضخم إشتركت به مع الدولة العثمانية في معركة نافرين وتحطم في هذه المعركة مما اعتبرته فرنسا فرصه يجب استغلالها قبل إعادة بناؤه . . وكانت فرنسا تعتبر نفسها حامية الباباوية كما أعلن ذلك صراحة شارل العاشر عام ١٨٣٠ م الذى قال عن احتلالهم للجزائر : (لا أريد من أثر إلا أن يعود ذلك بمعونة الله لصالح فرنسا) وأيضًا وزير الحربية الفرنسية كليرمون والذى قال في تقريره لمجلس الوزراء الفرنسى في ١٤ أكتوبر عام ١٨٢٧م (ربما يكون من حظنا أن نمدنهم مع الوقت وذلك بجعلهم مسيحيين)

*** حادثة المروحة:**

عندما قامت الثورة الفرنسية ضد الملك والكنيسة التي كانت تتدخل في الحكم وطبقة النبلاء والإقطاعيين الذين كانت لهم كل الإمتيازات بينما يكابد الشعب ويعانى من الفقر والجهل لتطالب بالعدل والمساواة والحرية قاطعها جميع الدول الأوربية وفرضوا حصاراً عليها فطلبت العون من الجزائر فدعمتها وأقرضتها مبالغ قُدرت بعشرون مليون فرانك فرنسى لكن فرنسا تماطلت في سداد تلك الديون حيث أرسل الداى حسين رسائل عديدة لحكومة فرنسا بهذا الشأن وأيضا بسبب بعض ديون اليهود الجزائريين الذين كانت فرنسا تسدد لهم ديونهم للتجار والشركات ولا تسدد ديونهم التي اقترضوها من خزينة الدولة الجزائرية لكن الحكومة الفرنسية لم ترد

وفى يوم (٣٠ أبريل١٨٢٧م) جاء القنصل الفرنسى في الجزائر (دوفال) إلى قصر الداى حسين كما جرت البروتوكولات لتهنئته بعيد الفطر، وبعد انتهاء الحفل وفى حضورأعضاء مجلس الديوان سأله الداى حسين: "لماذا لم تجب حكومتكم عن البرقيات التي أرسلها" فرد القنصل دوفال بطريقة غير لائقة حيث قال: (إن حكومتى لا تتنازل وتجيب رجل مثلك) فقام الداى حسين بطرده ملوحًا له بمروحة كانت في يده (مصنوعة من سعف النخيل) ويقال أنه ضربه بها ، وربما تكون الحكومة الفرنسية هى من أمرت دوفال باستفزاز الداى حسين . .

اتخذت فرنسا هذه الحادثة ذريعة لإحتلال الجزائر بحجة إسترجاع كرامة فرنسا هذا الإحتلال الذى دام ١٣٠ عاما نهبت فيها ثروات هذا البلد وقتلت الكثير من أبناءه حتى سمى بلد المليون شهيد

بعض جرائم الإحتلال الفرنسى

ارتكب الفرنسيون العديد من المجازر في حق الشعب الجزائرى والتى أسماها المؤرخون "الرزايا " بالفرنسية Razzias "

وهذه بعض إعترافاتهم:

يروى العقيد مونتانياك (أخبرنى بعض الجنود أن ضباطهم يلحون عليهم ألا يتركوا أحدا حيا بين العرب . . كل الجنود الذين تشرفت بقيادتهم يخافون أذا احضروا عربيا حيًا أن يجلدوا)

ويقول النائب البرلمانى طوكوفيل : (أننا نقوم بحرب أكثر بربرية من العرب أنفسهم . . لم يستطع الفرنسيون هزم العرب حربيا فهزموهم بالتدمير والجوع)

ويقول مونتانياك : (لقد محا الجنرال "لاموريسيير" من الوجود خمسة وعشرين قرية في خرجة واحدة . . أنه عمل أكثر إنعدام للإنسانية "

ويروى (بمجرد أن حدد موقع القبيلة انطلق سائر الجنود ووصلنا الخيام التي صحا سكانها على اقتراب الجنود فخرجوا هاربين نساءًا وأطفالاً ورجالاً مع قطعان ماشيتهم في سائر الإتجاهات ، هذا جندى يقتل نعجة، بعض الجنود يدخلون الخيام ويخرجون حاملين زرابى على أكتافهم بعض يحمل دجاجة تضرم النار في كل شئ ،يلاحق الناس والحيوانات وسط صراخ وغثاء وخوار إنها ضجه تصم الآذان. معسكر ١٩ ديسمبر ١٨٤١م"

يقول شارل اندرى جوليان:

كانت الرزايا مصدر لتموين الجيش ، ينهب ، يبيع ، ويوزع ثمنه على الضباط والجنود ربع الغنائم للضباط والنصف للجنود . .

ويقول دوكرو:

" مانهب في رزايا واحدة حمولة ٢٠٠٠ بغل "

ويقول النقيب لافاى " كان الضباط يخيرون الفلاحين بين أن يقدموا لهم الطعام أو الإبادة كنا نخيم قرب القرية يعطيهم الجنرال مهلة لإعداد الطعام أو الموت ، كنا نوجه سلاحنا نحو القرية وننتظر ثم نراهم يتوجهون إلينا ببيضهم الطازج وخرافهم السمينة ودجاجاتهم الجميلة ، وبعسلهم الحلو جدا للمذاق . ١٧ يوليو ١٨٤٨ م "

يعلق شارل أندرى جوليان

وتنتشر الرزايا فتصير أسلوب للتدمير المنظم والمنهجى الذى لم يسلم منه لا الأشخاص ولا الأشياء . أن جنرالات جيش إفريقيا لا يحرقون البلاد خفيه . إنهم يستعملون ذلك ويعتبرونه مجداً لهم سواء أكانو ملكيين أم جمهوريين أم بونابرتيين "

يقول مونتانياك:

ان الجنرال لاموريسيير يهاجم العرب وياخذ منهم كل شئ: نساء وأطفال ومواشى والبعض الآخر يستبدلهن بالخيول . والباقى تباع في المزاد كالحيوانات . أما الجميلات منهن فنصيب للضباط . معسكر ٣١ مارس ١٨٤٣م).

ويروى الضابط المراسل تارنو:

" إن بلاد بنى مناصر رائعة لقد أحرقنا كل شئ ودمرنا كل شئ ، آه من الحرب كم من نساء وأطفال هربوا منا إلى ثلوج جبال الأطلس ، فماتو بالبرد والجوع ، أنا على رأس جيشى أحرق الدواوير والأكواخ نخرب البيوت ونحرق الشجر المثمر ونفرغ المطامير من الحبوب ونرسلها إلى مراكزنا في مليانه

ويروى الجنرال لاموريسير نفسه:

فى الغد انحدرت إلى "حميدة" كنت أحرق كل شئ في طريقى. لقد دمرت هذه القرية الجميلة. . أكداس من الجثث اللاصقة مع الأخرى مات أصحابها مجمدين بالليل. . إنه شعب بنى مناصر إنهم هم الذين أحرقت قراهم وسقتهم أمامى" ٢٨ فبراير ١٨٤٣م

ويقول مونتانياك

(النساء والأطفال اللاجئون إلى أعشاب كثيفة يسلمون أنفسهم لنا ، نقتل نذبح. صراخ الضحايا واللاقطين لأنفاسهم الأخيرة يختلط بأصوات الحيوانات التي ترغى وتخور كل هذا آت من سائر الإتجاهات وسط أكداس من الثلج إنه الجحيم بعينه، إن كل تلك العمليات التي قمنا بها خلال أربعة شهور تثير الشفقة حتى في الصخور ، إذا كان عندنا وقت للشفقة، كنا نتعامل معها بلا مبالاة جافة تثير الرجفة في الأبدان. معسكر ٣١مارس ١٨٤٢م)

الجنرال شانغارنييه:

"إن هذا يتم تحت القيادة المباشرة لبوجو الذى راح جنوده يذبحون اثنتى عشرة إمرأة عجوزًا بلا دفاع. . مدينة الجزائر ١٨ اكتوبر ١٨٤١م)

الجنرال كانروبير:

ينفذ جنودنا هذا بحماس، إن التأثير الكارثى لهذا العمل البربرى والتخريب العميق للأخلاق الذى يبث في قلوب جنودنا وهم يذبحون ويغتصبون وينهب كل واحد منهم لصالحه الشخصى كبير) ١٨ يوليو ١٨٤٥م

النقيب لافاى:

لقد أحرقنا قرى لقبيلة بنى سنوس لم يتراجع جنودنا أمام قتل العجائز والنساء والاطفال. إن أكثر الأعمال وحشية هو أن النساء يقتلن بعد أن يغتصبن، وكان هؤلاء العرب لا يملكون شيئا يدافعون به عن أنفسهم (٢٣ ديسمبر ١٩٨٤م)

مجزرة سطيف الرهيبة

أقحمت فرنسا الجزائريون في الإشتراك معها في الحرب العالمية ضد النازية حاربوا وقدموا ضحايا حتى إنتصرت فرنسا بل وأسهمت الجزائر في تحرير فرنسا نفسها من الإحتلال النازى ، وبعد إنتهاء الحرب العالمية خرج الجزائريون في ٨ مايو١٩٤٥م بمظاهرات في مدينة "سطيف" شمال شرق البلاد مطالبين بحقهم هم أيضا في الإستقلال وبإنهاء الإحتلال الفرنسى لهم ، فكان أن واجهتهم القوات الفرنسية بالقوة المفرطة وبالقسوة ، وتطورت المصادمات والعنف حتى قتل أكثر من ١٠٠ من الأوربيين فجن جنون السلطات الفرنسية وأرسلوا السفن الحربية والطائرات لإخماد الإنتفاضة الوطنية وفى ١٤مايو عام ١٩٤٥م دكت الطائرات الفرنسية مدينة سطيف ب ٤١ طن من القنابل، فضلاً عن ضربها بالمدفعية حتى صارت ركامًا ثم دخل المشاة وقاموا بعمليات القتل والإبادة. ز قُدر ضحايا المجزرة الوحشية بحوالى ٤٥ ألف جزائرى.

******

8 Mai 1945 - Massacre de Sétif

ضابط فرنسى يلتقط صورة مع قتلى مجزرة سطيف

مجزرة ملعب فيليب فِل

فى عام ١٩٥٥ شنت قوات الإحتلال الفرنسية حملة قمع وتوقيف واسعة استهدفت الآلاف من المدنيين الجزائريين فأحرقت المشاتى وقصفت القرى وقامت السلطة الفرنسية بتسليح الأوربيين فكونوا مليشيات وعمدوا على الإنتقام من المدنيين الجزائريين العزل وارتكبت قوات الإحتلال مجزرة كبيرة في ملعب فيليب فِل "Phillipe ville" بسكيكدة حيث حشر الآلاف من النساء والرجال والأطفال والعجائز وقاموا بإعدام أعداد مهولة منهم، وقد ذهب ضحية هذه الحملة القمعية الإنتقامية مايقارب ١٢٠٠٠ مواطن جزائريًا.

الإعتداء على المساجد

برغم أن إتفاقية إستسلام الجزائر العاصمة كانت تنص على إحـترام الحريـة الدينيـة والمقدسات والشعائر إلا أن الفرنسيين قاموا بالتعدى على المساجد ليس فقط بهـدمها أو تحويل بعضها إلى كنائس وأثما بقتل المصلين أوالمعتصمين بها ومثال ذلك قتل أربعة الآف معتصم أعزل في مسجد كتشاوة قبل تحويله إلى كنيسـة . . كمـا حـاولوا طمـس الهويـة العربية والدينية بمنع التلقب بألقاب ترتبط بالنسب أوالقبيلـة أو الديانـة وذلـك لتفكيـك القبائل وتسهيل الإستيلاء على الأراضى ، ولكى يضمنوا ذلـك أجـبروا الأهـالى علـى تسجيل المواليد وعقود الزواج لدى مصلحة الحالة المدنية الفرنسية، كما أطلقـوا أسمـاء مشينة على الأشخاص والعائلات وأجبروا الجزائـرين علـى النـداء بهـا بـل وتسـجيلها وتوارثتها الأجيال منذ عام ١٨٨٢م فأصبحوا ينادون بها أصحابها إلى الآن أمثال عائلات "بو منجل ،وبو معزة ،وحمار ، وبوديل ،وكناس ،ومجنون ، وخاين النار وغيرها

وأصدر الحاكم الفرنسى للجزائر في ٢٤ ديسمبر ١٩٠٤م قانون ينص على عدم فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية إلا برخصة من السلطة العسكرية بشروط أهمها :ـ

*ألا يدرس تاريخ الجزائر وجغرافيتها وتاريخ العالم الإسلامى

* ألا تشرح الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد

* الولاء للإدارة الفرنسية

وفى ٨مارس ١٩٣٨م أصدر رئيس وزراء فرنسا آن ذاك "كـامى شـوطون" قـرار ينص على حظر إستعمال اللغة العربية ، واعتبارها لغة أجنبيـة في الجزائـر ، كمـا مُنـع أساتذة جمعية العلماء المسلمين من التدريس حيث نص القرار على غلق المدارس العربية التي لا تملك رخصة ، ثم منع كل معلم تابع للجمعية من التدريس في المدارس المرخصة

ثم إمتنعت السلطة الفرنسية عـن إصـدار الـرخص للمتقـدمين للحصـول عليهـا رغـم كثرتهم .

قاوم الشعب الجزائرى الإحتلال الفرنسى فلم تكن تخمد ثورة في مكان حتى تشتعل في مكان آخر وكثرت عمليات القمع بالإعتقال والقتل والتعذيب حتى قُتل الآلاف وكثر الشهداء والأبطال والزعمـاء المناضـلين والمقـاتلين مـنهم أحمـد شـطه ، أحمـد نـوارة ، مصطفى بو العيد ، جميلة بو حريد ، جميلة بو عزة ، أحمد لمطروش وغيرهم المئات، وظل الشعب الجزائرى يناضل رافعًا شعار "الإسلام ديننا والعربيـة لغتنـا والجزائـر وطننـا "ـ ذلك الشعار الذى أطلقه العالم الجليل عبد الحميد بن باديس ـ حتى تحررت بلادهـم مـن الاحتلال الفرنسى بعد اندلاع ثورة التحرير في نوفمبر ١٩٥٤م . ذلك النضال الذى بـدأ بالكفاح المسلح والعمليات العسكرية ضـد قـوات الاحـتلال بزعامـة "جبهـة التحريـر الوطنى " ثم التظاهر والمقاومة وتحرير البلاد من الإستعمار الفرنسى الذى دام حتى عـام ١٩٦٢م

الشيخ عبد الحميد بن باديس

جميلة بو حريد

زائريين "الكفاح المسلح"

******

-٢-

الدول العظمى

بدأت الدول الكبرى (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا) في التدخل في شئون الدولة العثمانية ومحاولة تقسيمها والإستيلاء على ممتلكاتها وذلك لهدفين اولهما : الطمع في ثروات الدولة العثمانية وثانيهما : القضاء على مايسمى بالخلافة الاسلامية . . كانت الجزائر في يد فرنسا ، ثم احتلت تونس عام ١٨٨١م بحجة تعسر تونس في سداد الديون واستولت ايطاليا على ليبيا أما بريطانيا فتمكنت من احتلال مصرعام ١٨٨٢م . .

بدأت هذه الدول تتدخل في شئون الدولة العثمانية ترسم الحدود وتحدد المصالح مستغلة بذلك ضعف الدولة العثمانية ، ثم بدأت تدعم الأحزاب العلمانية التي تنادى بالحرية الفردية وقيام النظام الدستورى وغيرها مثل حزب (الإتحاد والترقى) المنبثق من جمعية تركيا الفتاة .

قام زعيم حزب الأحرار ببريطانيا جلادستون بتاليف كتاب بعنون (الأهوال البلغارية والمسالة الشرقية) انتقد فيها المجازر التي إرتكبتها الدولة العثمانية في حق الشعب البلغارى أثناء ثورته في مايو ١٨٧٦ م وينادى باستقلال الشعوب المسيحية عن الدولة العثمانية ولم يذكر أن هذه المجازر كانت ردًا وانتقاما من الدولة العثمانية عن المذابح التي قامت بها بلغاريا ضد المسلمين العزل . .

أعلنت روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية في ٢٤ ابريل ١٨٧٧م بحجة الإنتقام لبلغاريا الذى صارت تابعة لها ، إنضمت لروسيا في هذه الحرب رومانيا وصربيا والجبل الأسود ، استطاعت روسيا عبور جبال البلقان وواصلت التقدم حتى وصلت إلى مسافة خمسين كيلو متر تفصلها عن العاصمة اسلام بول (استانبول) ، استغلت بلغاريا انشغال الدولة العثمانية بروسيا وقامت بارتكاب مجازر ومذابح مرة أخرى في المسلمين العزل ،

لما رأى السلطان عبد الحميد أن القوات الروسية تبعد عن العاصمة ٥٠ كيلو متر فقط طلب الهدنة فوافقت روسيا بشرطين أولها إستقلال كل من بلغاريا ورومانيا وصربيا والجبل الاسود وثانيهما أن تدفع الدولة العثمانية غرامة مالية كبيرة لروسيا أو تتنازل لها عن بعض القلاع والحصون وافق السلطان عبد الحميد ومضى مرغما على المعاهدة التي نصت على هذان الشرطان كان في يناير عام ١٨٧٨م (١٢٩٥هج)

رأت بريطانيا أن روسيا إنفردت بالدولة العثمانية ، فبدأت هى الأخرى بتحريك اسطولها البحرى نحو استنبول فبراير ١٨٧٨م ، فأسرعت روسيا بإبرام معاهدة ثانية مع الدولة العثمانية وإلا هاجمت استنبول وقضت عليها تماما مما جعل الدولة العثمانية ترضخ لذلك ، وكانت القوات الروسية تعسكر في قرية "سان ستفانو" فسميت بمعاهدة سان ستيفانو وكانت تنص على الآتى

١ ـ استيلاء روسيا على أقاليم هامه في آسيا وهى أردهان وقارص وباطوم وبازيد
٢ ـ استيلاء روسيا على أقليم هام في أوربا وهو بساربيا مع مصب نهر الدانوب
٣ – حرية مرور السفن التجارية عبر مضيق الدردنيل والبسفور إلى روسيا
٤ – فرض غرامة مالية كبيرة على الدولة العثمانية لروسيا توازى ٢٣٥ مليون جنيه استرلينى في الوقت الحالى .

انتهت المعاهدة ورأى السلطان العثمانى عبد الحميد أن يستعين بإحدى الدول الأوربية الكبرى فعقد معاهدة مع بريطانيا تنازل لها فيها عن جزيرة قبرص مقابل أن تحمي بريطانيا الدولة العثمانية من أطماع روسيا

أما المانيا فقد أسرع المستشار الألمانى بسمارك بعقد مؤتمر مع الدول الأوربية الكبرى للنظر في معاهدة سان استيفانو اشترك في هذا المؤتمر ألمانيا ، بريطانيا ، فرنسا ، روسيا ، هنغاريا ، وأيضا الدولة العثمانية سمى هذا المؤتمر بمؤتمر برلين واستمر المؤتمر ٣١ يوما ثم انتهى بمعاهدة نصت على :ـ

١ ـ اعادة مقدونيا للدولة العثمانية وتقسيم بلغاريا جزء شمالى وآخر جنوبى يدفع الشمالى الضرايب للدولة العثمانية أما الجنوبى فيكون تحت سيادتها اسما فقط مع شرط آخر وهو أن يكون حاكمها نصرانى

٢ – ضم البوسنة والهرسك إلى النمسا واستقلال صربيا والجبل الاسود ورومانيا

٣ – ضم أردهان وقارص وباطوم وبازيد لروسيا وأن تدفع الدولة العثمانية خسائر الحرب لروسيا قدرت ب ٨٠٢ مليون و٥٠٠ الف فرانك ذهبى على أقساط سنوية

وهكذا فرضت الدول الأوربية الكبرى تدخلاتها ووصايتها على الدولة العثمانية بل وتقسيمها لأراضيها والإستيلاء عليها والدولة العثمانية قد أصبحت ضعيفة لا حول لها ولا قوة

بدأت الدول العظمى فيما بعد تمارس ضغوطها على السلطان عبد الحميد للسماح بهجرة اليهود إلى فلسطين لكنه رفض بشدة كما منع بيع الأراضى الفلسطينية إلى اليهود

وبعد مؤتمر برلين احتلت فرنسا تونس ثم احتلت بريطانيا مصر

******

- **حرب الافيون**

شنت بريطانيا ضد شعب الصين حرب أسماها المؤرخون " حرب الأفيون" كانت الحرب الأولى مابين عامى(١٨٣٩ـ١٨٤٢)م وكانت الحرب الثانية عام (١٨٥٦ـ ١٨٥٧)م استخدمت بريطانيا القوة البرية والبحرية وأعملت السلاح في الشعب الصينى فارتكبت المذابح والمجازر وأهلكت الصين بالتخريب والتدمير ثم أجبرت الشعب الصينى على تعاطى الأفيون وتجارته

******

-٣-

الإحتلال البريطانى لمصر:

لم تكن المرة الأولى التي تحاول فيها بريطانيا احتلال مصر فهذا الاحتلال قد سبقه محاولة في عهد محمد على باشا عام ١٨٠٧م حين رغبت بريطانيا بإزاحة محمد على وتنصيب حاكم صورى تحركه بريطانيا ويكون مواليًا لها في كل مصالحها فبدأت حملة في ١٧ مارس ١٨٠٧م بقيادة الجنرال "الكساندر ماكنيزى فرايزر" وسميت بحملة فريزر حاصرت الإسكندرية ولكنها واجهت صعوبات ففشلت الحملة واضطرت إلى العودة

وبعد افتتاح قناة السويس أثقل كاهل مصر الديون التي اقترضها الخديوى اسماعيل من الدول الأوربية وانفقها في حفل افتتاح قناة السويس وتطوير القاهرة على الطراز الأوربى وغيرها ، وكان إسماعيل منفتحًا على الغرب مصادقًا لهم متقبلاً لكل مشوراتهم بل وتدخلاتهم

كان نظام حكم مصر خلال حكم أسرة محمد على هو أن يخلف الخديوى أكبر أفراد الأسرة الملكية سنًا بعد وفاته وكانت أسرة محمد على ألبانية الأصل ، فمحمد على كان جندى ألبانى في الجيش العثمانى قبل أن يختاره أهل مصر لحكمها أما في عهد الخديوى إسماعيل فقد استصدر من السلطان العثمانى عبد العزيز الأول مرسوم يجعل الولاية لأكبر أبناء الخديوى سنا وليس لأكبر أفراد العائلة الملكية وهكذا ومنذ عهد إسماعيل أصبحت خلافة والى مصر لابنه الأكبر حتى عهد الملك فاروق الذى تنازل عن العرش مجبراً لابنه فؤاد الثانى الذى كان يبلغ من العمر عامًا واحدًا قبل أن يتم الغاء الملكية عام ١٩٥٣م

وبرغم أن دولة مصر والسودان كانت مستقلة إلا أن الدولة العثمانية كانت لها الهيمنة الصورية عليها حيث أن مصر كانت تدفع جزية سنوية للدولة العثمانية وأيضا

كان للسلطان العثمانى صلاحيات في الموافقة على تعيين الولاة بفرمان (مرسوم) عثمانى رسمى . .

خلف إسماعيل ابنه توفيق باشا وكان أشد من والده موالاة للغرب ومحاباة لهم وإقترابا وإقتراضا منهم وكانت حكومته علاقتها وثيقة بالبريطانيين والفرنسيين كما كان لهؤلاء امتيازات في قناة السويس ونصيب في دخلها

وبسبب سوء الأحوال الإقتصادية وكثرة الديون والتدخل الأجنبى السافر في شئون مصر ، ومعاملة رياض باشا رئيس الوزراء القاسية للمصريين قامت ثورة شعبيه ضد الخديوى توفيق بقيادة الأميرال أحمد عرابى ورفاقه من ضباط الجيش المصرى

فأرسل الخديوى توفيق إلى بريطانيا يستنجد بها ويطلب منها المعاونة في قمع الثورة العرابية ونبههم إلى أنه في حالة خلعه ستتأثر إستثماراتهم ومصالحهم في مصر . .

تحرك الأسطول البريطانى في ١٥ سفينة حربية مدرعة بالحديد تحت قيادة الأدميرال سير " شامب سيمور " ، والتحم الشعب مع الجيش في مطالبه ضد الخديوى توفيق . .

بدأ الجيش المصرى في تحصين القلاع وتجديدها وتسليح الميناء وفى يوم ١١ يوليو ١٨٨٢م (١٩٢٢هج) بدأ الأسطول الإنجليزى بقصف مدينة الإسكندرية بالقنابل ولمدة ثلاث أيام ، ثم اقتحمت قوات المشاة البحرية المدينة بعد أن دمرتها بالكامل . . أعلن عرابى رفضه للإحتلال البريطانى واستصدر فتوى من الأزهر بتكفير الخديوى توفيق وخيانته للدولة بمساعدة العدو على احتلال أرض مصر ، ونادى بوجوب التعبئة العامة والتجنيد ومقاومة الإحتلال بينما أصدر الخديوى توفيق مرسوم بعصيان الجيش وأمر بحله وتسريحه كما أمر وزير الداخلية والبحرية بتنفيذ الأمر

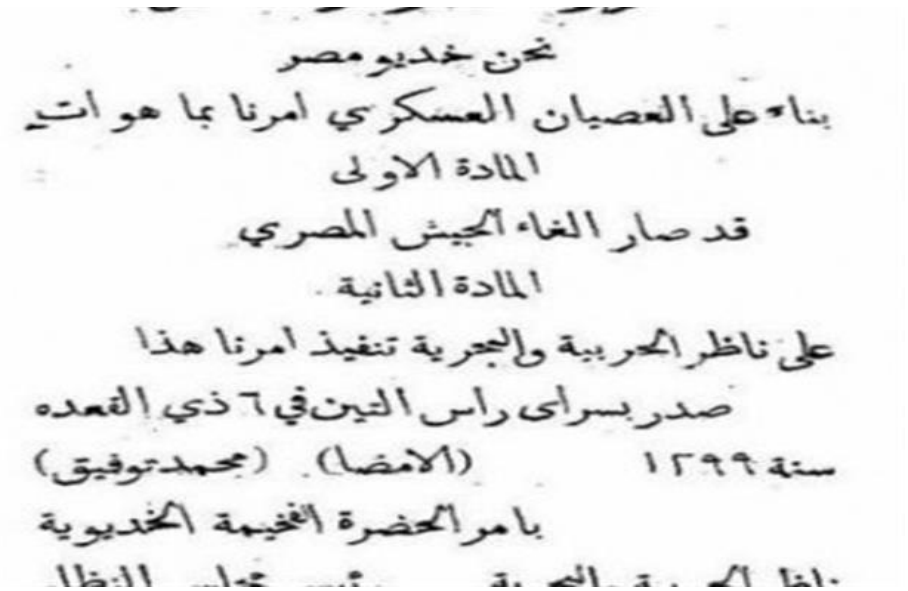

نحن خديو مصر
بناء على العصيان العسكري امرنا بما هو آت
المادة الاولى
قد صار الغاء الجيش المصري
المادة الثانية
على ناظر الحربية والبحرية تنفيذ امرنا هذا
صدر بسراى راس التين في ٦ ذي القعده
سنة ١٢٩٩ (الامضا) (محمد توفيق)
بامر الحضرة الفخيمة الخديوية

وبينما كانت قوات الاحتلال تتقدم من الإسكندرية نحو القاهرة باتجاه كفر الدوار لاقت مقاومة عنيفة ولمدة شهرين من ضباط الجيش المصرى البواسل ، وكان عرابى قد وزع قواته على ساحل البحر المتوسط في البحيرة ودمياط ورشيد وبعد أن خسرت القوات البريطانية وأسر المصريين الكثير منهم تراجعت إلى الاسكندرية ، وعادت إلى الأسطول فاتجهت به ناحية الشرق لتحاول الدخول عبر قناة السويس مدعومة بمباركة دولية . . فكر عرابى في ردم القناة لكن دليوسبس الفرنسى رئيس شركة قناة السويس آن ذاك أخبره بأن الشركة محايدة وأنها لن تسمح بدخول أساطيل بحرية عبرها ، لكنه سمح بمرور الأسطول البريطانى .

وفى ١٣ سبتمبر ١٨٨٢م صباحًا ، فوجئت القوات المصرية المتمركزة في منطقة التل الكبير بالإسماعيليه وأثناء نومهم فوجئوا بقدوم القوات البريطانية بصحبة بعض بدو الصحراء الذين اطلعوا الإنجليز على مواقع الجيش المصرى ثم تعاون معهم أيضا بعض ضباط الجيش في تعريفهم بثغرات الجيش المصرى ومواقع تمركزه

استغرقت المعركة ٣٠ دقيقة ألقى القبض على عرابى ورفاقه ماعدا عبـد الله النـديم الذى أختفى عن أعين الحكومة

وفى ديسـمبر ١٨٨٢ م أصـدرت المحكمـة العسـكرية حكمهـا علـى قـادة الثـورة بالإعدام وهم أحمد عرابى – طلبه عصمت – عبد العال حلمى –محمود سامى البـارودى (الشاعر المعروف) – وعلى فهمى ، ثم تم تعديل الحكم مـن الإعـدام إلى النفـى المؤبـد ومصادرة أملاكهم وتم نفيهم إلى جزيرة سيلان بالهند . . وهكـذا تم لبريطانيـا احـتلال مصر الذى دام أكثر من ٧٠ عاما . بينما استمر توفيق ومن خلفه حتى عهد فاروق حاكم صورى لمصر أما السلطة الفعلية فكانت في يد مندوب القنصل الإنجليزى .

الخديوى توفيق

أحمد عرابى

برر الإنجليز إحتلالهم لمصر بأنه من أجل الديون ووعدوا بأنه مجرد حصولهم على مالهم من ديون عند الحكومة المصرية فسوف يغادرون لكنهم لا عهود لهم فاستمر احتلالهم واستمرت جرائمهم وقمعهم وقتلهم الأبرياء واستغلالهم خيرات البلاد كما استمرت مقاومة المصريين فسطروا ملاحم في محاولات تحرير وطنهم . .

حادثة دنشواى

فى العام ١٩٠٦ صدرت أوامر من الحكومة لعمد بعض القرى بالتعاون مع فرقة من الضباط والجنود الإنجليز وعددهم خمسة يرغبون في صيد الحمام . . فقدمت هذه الفرقة إلى قرية دنشواى بمحافظة المنوفية ولكن الحمام لم يكن على الطريق الزراعى بعيداً عن المنازل ، بل حط عند أجران القمح يلتقط الحب فأقبل الضابط وصوب بندقيته يريد الصيد فصاح به مؤذن القرية وأخبره أن ذلك ممكن أن يحرق الجرن فلم يكترث لكلام الرجل وصوب أعيرته فأخطأ الهدف وأصاب إحدى الفلاحات وهى زوجة شقيق المؤذن واسمها أم صابر كما اشتعلت النيرن في الجرن فأخذ الرجل يجذب البندقية من الضابط وهو يصرخ مناديًا أهل البلدة " الخواجة قتل الوليه وحرق الجرن " " الخواجة

قتل الوليه وحرق الجرن " فهرع أهل القري رجالاً ونساءًا واطفالاً وفى هذا الوقت أقبل الخفراء للنجدة فظن الأنجليز أنهم سيفتكون بهم فصوبوا أعيرتهم تجاههم فأصابوا بعضهم فصاح الناس " قُتل شيخ الخفر " وهجموا على الضباط بالطوب والعصى ففر اثنان منهم كابتن الفرقة والطبيب ، وقطعوا أكثر من ثمانية كيلو مترات في الحر الشديد وبالقرب من قرية سرسنا سقط الكابتن ميتا ، وجرى الطبيب حتى وصل إلى المعسكر فهرع الجنود معه إلى حيث جثة الكابتن وكان ملقى على الأرض وحوله مجموعة من أهالى القرى القريبة فطاردوا الأهالى دون أن يفهموا وألقوا القبض عليهم إلا أحدهم الذى جرى واختبأ في فجوة طاحونه تحت الأرض فوجدوه وقتلوه شر قتله

تم تقديم ٩٢ قرويا للمحاكمة وتم إثبات التهمة على ٣٦ من قرية دنشواى وجاءت الأحكام عليهم متفاوتة فتم إعدام أربع منهم شنقا في ساحة القرية أمام الجميع وحكم على بعضهم بالأشغال الشاقة المؤبدة وتم جلد معظمهم . .

كان على رأس القضاء بطرس غالى وأحمد فتحى زغلول الشقيق الأصغر لسعد زغلول . . أما مدعى النيابة فكان " إبراهيم الهلباوى "

أحدثت هذه الحادثة ضجة كبيرة وخاصة بعد أن فضحهم الزعيم " مصطفى كامل " في المحافل الدولية وراسل الصحف العالمية وألب ضدهم الرأى العام العالمى فتم خلع اللورد كرومر الحاكم الإنجليزى بمصر كما تم إغتيال بطرس غالى على يد " إبراهيم الوردانى "

أحس إبراهيم الهلباوى بجريمته التي تعد خيانة لوطنه بدفاعه عن الأنجليز وإثبات التهمة على الفلاحين المصريين فتقدم يدافع عن إبراهيم الوردانى بنفسه معتذراً للشعب المصرى إذ قال في مرافعته " جئت نادما استغفر مواطنينا عما وقعت فيه من أخطاء شنيعة . . اللهم إنى استغفرك واستغفر مواطنينا "

ملحوظه : مات مصطفى كامل في ظروف غامضة في ريعان شبابه عن عمر يناهز ٣٤ عاما عام ١٩٠٨م ١٣٢٦ هج ميته تشبهها فيما بعد ميتة سيد درويش الذى كان يلهب حماس الشعب ضد الإنجليز بالأغانى الوطنية

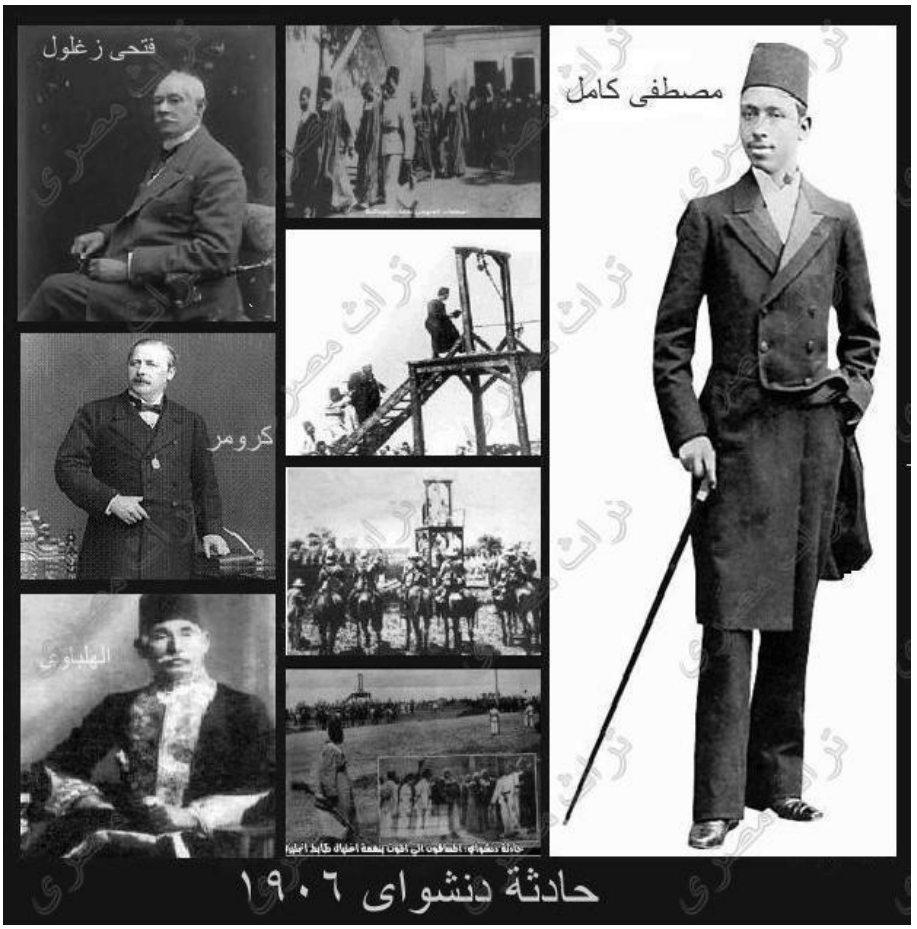

صورعن حادثة دنشواى من صفحة " تراث مصرى "

******

ثورة ١٩١٩م:

انتهت الحرب العالمية الأولى بإنتصار إنجلترا وحلفاؤها ، وبدلا من أن تفى إنجلترا بوعودها المتكررة في الجلاء أعلنت الحماية الرسمية على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤م بعد الحماية المقنعة منذ عام ١٨٨٢م تطلع الشعب إلى الحرية والإستقلال وزوال المستعمرعن بلادهم بعد أن يئس الشعب من مماطلات الحكومة البريطانية وتدخلاتها في شئون البلاد عملت بريطانيا على :ـ

*السعى لفصل السودان عن مصر

*الغاء الجيش المصرى

*تعيين المسشارين الإنجليز في كافة المناصب والوزرات

*الغاء مجلس النواب وإبطال النظام الدستورى والغاء الدستور

*إعلان الحماية الرسمية على مصر عام ١٩١٤م

*إساءة الجنود البريطانيين معاملة المصريين ووضعهم في المعتقلات والسجون أو النفى

*إتخذت بريطانيا من مصر قاعدة حربية لحلفائها في الشرق الأوسط فكانت تشن منها حملاتها على العراق وسوريا وشبه الجزيرة العربية أخذت القوات البريطانية تجمع مئات الآلاف من العمال والفلاحين لإرسالهم في حملاتها للعمل مع الجيش البريطانى فيما سمى ب "فرقة العمل المصرية"

*كانوا يجندون المصريين كُرهًا ويجرونهم مربوطون بالأحبال وينقلونهم في عربات الحيوانات بالقطارات ويعاملونهم أسوء معاملة ويعدونهم باستخدامهم مدة معينة ثم يمدونها وكثيراً منهم من مات بالأمراض أو في ميادين القتال أثناء الحرب العالمية ، أوعادوا بعاهات تمنعهم من العمل

* مصادرة الناس أرزاقهم وحاصلاتهم الزراعية ومواشيهم ودوابهم والإستيلاء عليها بحجة شراءها ولكنهم يشترونها بأبخث الأثمان وإجبار كل إقليم مصرى على مقدار معين من الحبوب يورده إلى الجيش البريطانى

*إجبار المصريين على وضع الأموال قسراً للصليب الأحمر البريطانى كانت تفرض على الأهالى في شكل أتاوات سواء كانوا صغار السن لم يتخطوا ال ١٤ عام أو شيوخ أم مرضى أم مساكين يتساوى الجميع أمام المستعمر وكان الكرباج والجلد والتعذيب هو الرد على من يرفض

وفى هذا كتب المستر "روبن ستن" العضو البرلمانى مقالا في مجلة الكومنترارى ريفو في شهر أغسطس عام ١٩١٩م قال فيه بعد أن سرد وفصل معاملة الإستعمار البريطانى للمصريين" أقسم لو كنت مصريًا لما ترددت في بذل النفس والنفيس لطرد الإنجليز من مصر

إدعى الإنجليز انهم يبقون في مصر من أجل تطويرها وتقدمها بينما في عهدهم كان التخلف في كل الميادين شاهداً على كذبهم هم فقط لم يكتفوا بحصتهم في قناة السويس فرأوا أن ينهبوا محاصيل الدولة وثرواتها ويوسعوا إمبراطوريتهم على حساب مصر وشعبها

فى عام ١٩١٨م كان قد تألف وفد من بعض الشخصيات بحيث يكونوا ممثلين عن الشعب يتكلمون باسم الشعب في المؤتمرات الدولية ويطالبون بحقوقه في الحرية والإستقلال وأخذوا توكيلات وقع عليها كافة طوائف الشعب لتفويض الوفد في التحدث باسمه وكان هذا الوفد برئاسة سعد زغلول

أرسل واطسون قائد القوات البريطانية في مصر إنذارا يوم ٦ مارس ١٩١٩م إلى الوفد بعدم الإعتراض على إعلان الحماية البريطانية وإنه أمر غير قابل للمناقشة وعدم

عرقلة تأليف وزارة جديدة بعد إستقالة وزارة رشدى باشا ، وأنه في حالة الإعتراض فسوف تقوم السلطة العسكرية بالرد الحاسم وبأشد العقوبات العسكرية . . رفض سعد زغلول ورفاقه الإنذار فقامت السلطة العسكرية باعتقال ثلاثتهم " سعد زغلول ، على شعراوى ، عبد العزيز فهمى "ـ بصفتهم مترأسين الوفد ـ في ٨ مارس ونفيهم إلى جزيرة مالطا وكانت هذه شرارة الثورة ليس دفاعًا عن سعد في شخصه وإنما دفاعًا عمن دافع عن حقوقهم فمن حق المصريين الإعتراض ، بل رفض هذه الحماية ، ومن حقهم طلب

الإستقلال التام والحرية قام طلاب كلية الحقوق بمسيرات تبعهم طلبة الكليات الأخرى ثم المدارس وفى الأيام التالية زادت المظاهرات حيث انضم جميع الفئات إلى الطلاب في مظاهراتهم ومطالبة المستعمر بالجلاء نساءًا ورجالاً وأطفالاً مسلمين ومسيحيين ، وبدأ الإضراب العام فأضرب سائقى سيارات الأجرة وسائقى الترام والمحاميين وموظفى البريد وعمال عنابر السكة الحديد الذين بلغوا الأربعة آلاف عامل ، وتم قطع خطوط السكك الحديدية وخطوط التليغراف والتليفون ، وامتدت الثورة من القاهرة إلى الأقاليم والمحافظات الأخرى ، وبدأت السلطة العسكرية في قمع المظاهرات ومقابلتها بالرصاص وبدأت الدماء المصرية تسيل في الشوارع وكان النصيب الأكبر منها لطلبة الأزهر الذين كانوا يشعلون الثورة ويجتمعون بالناس في الأزهر وكانت تلقى الخطب الحماسية في الجامع الأزهر ثم تنطلق المظاهرات منه . .

قامت القوات البريطانية بقمع الثورة والتنكيل بالثوار وأنشئت المحاكم العسكرية وتم محاكمة من أعتقلوا بالإعدام أو الأشغال الشاقة ، وتم تسيير قطار على السكك الحديدية التي تم اصلاحها ملئ بالجنود البريطانيين فكانو يمرون على القرى فينزلون منها ويقابلون تظاهراتهم بإطلاق الرصاص من البنادق والرشاشات بل ويدخلون قرى ساكنة فيقتلون وينهبون إنتقاما منهم لقطع السكة الحديد أمام قريتهم . .

أرسلت بريطانيا الجنرال اللنبى يوم ٢٥ مـارس ١٩١٩ بـديلاً عـن السـير "ونجـت "لقمع الثورة حيث كان أكثر شكيمة وأقوى بأسا، وقد كان قائد للجيـوش البريطانيـة في مصر عام ١٩١٧م وتولى قيادة حملة الحلفاء في فلسطين وسوريا وذاعـت شـهرته بعـد انتصاراته في تلك الحملة وبعد إنتهاء الحرب العالمية عاد من فلسطين إلى مصر ثم غادرها في ١٢ مارس ليعود إليها حاكمًا عسكريًا

أبدى الجنرال اللنبى منذ أول يوم له إستهزاءًا بالثورة والثوار ونيته قمـع المظـاهرات بالقوة ، ويبدوا ذلك في قوله أن من أهدافه : (أن أضع حدا للإضطرابات الحالية)

إجتمع اللنبى بكبراء البلاد والأعيان والعلماء وبعض الـوزراء السـابقين وأعضـاء الوفد الباقين وشيخ الأزهر والمفتى العام وبطريرك الأقباط ، ورئيس المحكمـة الشـرعية وطلب منهم مساعدته في تهدئة الناس وأن ذلك في صالح البلاد ، وسـوف يعمـل علـى إنهاء جميع مشاكل المصريين وشـكواهم وأن في حالـة إسـتمرار الثـورة والإعتـداء علـى المواصلات فسوف يواجه ذلك بأقسى درجات القمع وبالفعـل اسـتمع لـه كـبراء البلـد وأعضاء الوفد ووجهوا إلى الشعب نداء يطالبونه بـالتزام الهـدوء والسـكينة صـدر هـذا القرار يوم ٢٧ مارس من نفس العـام. رفـض الشـعب هـذا النـداء ووجهـوا إنقـادات لتخاذل الكبراء والأعيان وأعضاء الوفـد بـل وأضـرب موظفـوا الحكومـة عـن العمـل واستمرت الثورة والأحـداث والتظـاهرات حتـى دخـل شـهر أبريـل وأغلقـت المحـال التجارية عدا المخابز وأضـرب جميـع طوائـف الشـعب عـن العمـل وتـدفق الشـعب في الشوارع في مظاهرات ومسيرات تطالـب بالحريـة والجـلاء في القـاهرة والإسـكندرية ، وجميع محافظات مصر كما كانت تتحول جنـائز الشـهداء إلى مسـيرات ضـخمة تطـوف البلاد وانتقلت إجتماعات الثوار من الأزهر الذى أحاطه البريطانيين بالجنود والأسـلحة إلى مسجد ابن طولون ، وقد أسرف الجنود البريطانين في القتل والتنكيل بالشعب الثـائر فقتلوا الآلاف من الأبرياء بدون ذنب إرتكبـوه غـير مطـالبتهم بالحريـة والاسـتقلال. .

يقول المؤرخ المصرى عبد الرحمن الرافعى في كتابه ثورة ١٩١٩ (ففى العاصمة وقعت المجازر التي أصابت المسيرات السلمية وحصدت أرواح المئات من الشهداء وقد لاحظ أطباء مستشفى القصر العينى وأساتذة كلية الطب من فحص جثث القتلى وأصابات الجرحى من المتظاهرين فظاعة التقتيل والتنكيل وتملكهم جميعا شعور الإستنكار لهذه الفظائع ولم يسعهم السكوت عليها فكتبوا يوم ١٥ مارس عام ١٩١٩م إحتجاجًا إجماعيا سجلوا فيه هذه الفظائع ، وبعثوا به إلى المدير العام لمصلحة الصحة)

هذا فضلا عن إصابات القتل والجرح في المحافظات الأخرى والتى تعد بالمئات وقد قدر شهداء ثورة ١٩١٩ بنحو ثلاثة آلاف شهيد ، أما عمليات النهب والسرقة والحرق فقد إرتكبت القوات البريطانية من الفظائع ما تقشعر له الأبدان يذكر نفس المؤرخ في نفس الكتاب ماحدث في كل محافظة وأقليم على حدة نذكر منها هذا الجزء (وأبرز الفظائع ماوقع في قريتى العزازية والبدرشين "بمركز الجيزة" وقد سُجل في محاضر رسمية، واحتج عليها مجلس مديرية الجيزة إحتجاجا تاريخيا، وخلاصتها أنه في يوم ٢٥مارس سنة ١٩١٩م ، في نحو الساعة الرابعة بعد منتصف الليل ، والناس نيام ، انقض نحو مائتى جندى بريطانى مدججين بالسلاح على بلدتى العزيزية والبدرشين، وانقسموا إلى فريقين، كل فريق أحاط بإحدى البلدتين، وقصدت شرذمتان منهم إلى منزلى عمدتى البلدتين شاهرين أسلحتهم وطلبوا إلى كليهما تقديم ماعنده من السلاح ، وجمع كل مايوجد منه بالقرية قبل مضى ربع ساعة ، فقدم أحدهما (الشيخ إبراهيم دسوقى رشوان عمدة العزيزية) مايملك وهو مسدس ، ولم يكن لدى الثانى (الشيخ محمد منظور الدالى عمدة البدرشين) شئ منه، فاقتحم الجند المنزلين، وانسلو إلى غرف السيدات، فاختبأن تحت الأسرة واستولى عليهن الذعر لوقوع هذا الهجوم المفاجئ الفظيع في ساعة متأخرة من الليل ، وكسر الجنود الصناديق والخزائن عنوة، وسلبوا كل مافيها من حلى ومال، ثم جذبوا النساء من شعورهن، وانتزعوا بكل قسوة وفظاعة

ماكان عليهن من حلى لدرجة أن ثلموا أذن إحداهن ، وجاسوا خلال المنزلين ونهبوا كل ما وصلت إليه أيدهم .

ثم طلبوا من العمدتين أن يدلاهم على منازل مشايخ البلدتين وأعيانهما ففعلا مكرهين، فارتكب الجنود في هذه المنازل مثلما ارتكبوا في منزلى العمدتين، وأعلن الضابط الذى يقود الجند في هذه المعمعة إنهم سيضرمون النار في القريتين، وأنه مرخص لكل شخص من السكان أن يأخذ ما في بيته من مال وحلى قبل الرحيل عنه ، ثم لم يلبثوا إلا قليلاً حتى أضرموا النار فعلا في منازل القريتين ، مستعينين بما يعلو سقوفها من حطب وقش ، وكانت النيران إذا خبت في أحدها استعانوا على إشعالها بالبترول الذى كانوا يجدونه فيها، فذعر الناس ، وخرجوا من منازلهم فراراً من الحريق، ولم يتركهم الجند يهجرون القريتين ، بل حاصروهما ووقفوا شاهرى السلاح في وجه المُهجرين يفتشونهم قبل إنطلاقهم ، ويسلبونهم ماكانوا يحملون من مدخراتهم ، ولم يوقروا في هذا الإعتداء المنكر أحد حتى النساء ، بل كانو ينقبون في ملابسهن وأجسامهن ، ويمزقون ثيابهن ، واعتدى بعض الجنود على عفاف بعضهن قسراً، وقتلوا بعض أهالى البدرشين ومنهم سيدة دافعت عن عرضها، فكان جزاؤها القتل ، وكل ذلك وضباطهم يشهدون هذه الفظائع دون أن يحركوا ساكنًا .

ولما أكلت النيران دور البلدتين فرت الأغنام والدواجن فاستولى عليها الجند واحترقت بعض المواشى في البيوت ،وكان كل من حاول من الأهلين إطفاء الحريق يطلق عليه الجند الرصاص فيردونه قتيلاً . وانصرف الجند عن البلدتين في الصباح المبكر، بعد أن جعلوهما قاعا صفصفًا ، واستاقوا عمدتى البلدتين ومشايخهما إلى الحوامدية سائرين على الأقدام، وخلفهم الجند يخزونهم بأسنة الرماح لكى يستحثونهم على الإسراع في السير، ووصل الجميع إلى الحوامدية وهناك مثلوا أمام جمع من ضباط الإنجليز، فتلا عليهم رئيسهم التهمة الموجهه إلى القريتين وهى أن بعض أهالى العزيزية

تعدوا بالضرب على أحد الضباط البريطانيين في الطريق المؤدى إلى أهرام سقارة وأن أهالى القريتين اشتركوا في إحراق محطتى الحوامدية والبدرشين. وعبثا حاولا العمدتان أن ينفيا التهمة عن نفسيهما وأسرتيهما وأهل بلدتيهما إذ اثبت الأول بشهادة الشهود أنهم كانوا يحمون مصانع السكر بالحوامدية أثناء الإضطرابات ، فلم يكترث الضابط البريطانى لهذه الحجج وأمر المعتقلين بالتوقيع على اقرار أعد لهم مكتوبًا ، يبدون فيه أسفهم على ماحدث من تخريب خط السكة الحديدية ، وما وقع من الإعتداء على الجنود البريطانيين ، ويقرون فيه أن ماحدث لبلديهم حق وفى محله، وأنهم مستعدون لتقديم ما يطلب منهم من العمال لإصلاح السكة الحديدية، ويقبلون المحاكمة أمام المجلس العسكرى إذا هم قصروا في إداء تعهداتهم، وأكرهوا تحت التهديد بالقتل على التوقيع على هذا الإقرار) عبد الرحمن الرافعى من كتاب " ثورة ١٩١٩ : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩٢١

تأكدت السلطة العسكرية البريطاني أن مهادنة الثوار وترضيتهم هى الطريقة المثلى لتهدئة التورة وأوزعت إلى الملك فؤاد فأعلن بيانًا يطالب فيهم المصريين بالهدوء والسكينة ، فعلموا أن وراء إعلان الملك خبر سار وبالفعل قررت الحكومة البريطانية تهدئة للموقف الإفراج عن سعد وصحبه عمت الامة المصرية فرحًا عامًا وسرورًا ، وبدت مظاهر الفرح في كل شبر بمصر واعتبر الشعب أن الإفراج عن سعد وصحبه مكسب ونصر سياسى ، فالسلطة العسكرية افرجت عن سعد إحترامًا لغضبة المصريين وتهدئة لثورتهم وقد فعلو ذلك كرها أو طوعا في النهاية قد أجبرهم المصريين على الإلتجاء . .

لذلك انطلق الناس في الشوارع من جميع الطبقات والأعمار يحملون العلم المصرى يهتفون بحياة مصر وبحياة سعد وزينوا الترام والمحلات التجارية والمركبات بالورود والأعلام استمرت مظاهرات الفرحة والبهجة في يومى ٧ و٨ ابريل . .لكن بعض الجنود

البريطانيين هالهم الموقف أو غاظهم فأرادوا الإنتقام ، أو خافوا من هذه الجموع الغفيرة أن يهاجموهم فأطلقوا النار على المتظاهرين فقتلوا عدد منهم وأشارت السلطة العسكرية إلى هذا الحدث أنه مجرد سوء تفاهم ولن يتكرر ، ولكن تكرر هذا الموقف مرة أخرى حيث كانت كبرى التظاهرات وأعظمها في يوم التاسع من إبريل وأطلق الجنود البريطانيين النار على المتظاهرين وقتلوا عددا منهم

ثورة ١٩١٩

سعد زغلول ورفاقه

الفصل الثامن

-١-

لورانس العرب

يعتبر لورانس العرب من أبرز الشخصيات التاريخية التي أثرت في التاريخ بل وساهمت بتغيير خريطة الوطن العربى ولو قدر أن تمنح جائزة التمثيل لبعض الشخصيات التاريخية لحصل لورانس على جائزة أفضل ممثل عن دوره في خديعة العرب، إذ أظهر لهم الحب والمودة أكل طعامهم ونام في خيامهم ولبس ملابسهم وتكلم بلغتهم حتى وثقوا فيه وأحبوه وبدأ يضللهم بنصائحه التي دفع ثمنها أجيال خلف أجيال

هو "توماس إدوارد لورانس" الجاسوس والعميل البريطانى تخفى في شخصية صديق مقرب ومحب للعرب واستطاع أن يكون عينا عليهم ومراقبًا بل ومضللا لهم لم يكن خطؤه بالتأكيد لكنه كان خطأ من وثقوا فيه كانوا يسمونه ملك العرب غير المتوج أو لورانس العرب. لكنهم لم يفيقوا إلا بعد فوات الآوان حين اكتشفوا أن من أحبوه ووثقوا فيه ماهو إلا جاسوس زرعته بريطانيا ليضلل العرب ويدفعهم للإقتتال مع الأتراك لإستيلاء بلاده على أراضيهم ونهب ثرواتهم وتفتيت جمعهم

أفاقوا أن لورانس مجرد رجل كاذب مخادع نذل لقد كشف هو نفسه عن خديعته للعرب في كتابه حين قال: (لو قدر للحلفاء أن ينتصروا فإن وعود بريطانيا للعرب لن تكون سوى حبر على ورق، ولو كنت رجلاً شريفًا وناصحًا أمينًا لصارحتهم بذلك وسرحت جيوشهم وجنبتهم التضحية بأرواحهم في سبيل أناس لا يحفظون لهم إلا ولا ذمة ، أما الشرف فقد فقدته يوم أكدت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعودها لهم.)

ويقول أيضا : (لقد جازفت بخديعة العرب لأعتقادى أن كسبنا للحرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الإنتصار وكذلك قوله : (إنى أكثر ما أكون فخراً أن الدم الإنجليزى لم يسفك في المعارك التي خضتها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوى في نظرى موت إنجليزى واحد ، لقد جازفت بخديعة العرب لأننى كنت أرى أن كسب الحرب مع الحنث بالوعود أفضل من عدم الإنتصار ، ويصف العربى بقوله : (العربى حين يصدقك ويؤمن برسالتك سوف يتبعك إلى أقاصى الدنيا ولو بذل حياته) .

ثم يعترف : (أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها ، وذلك في سبيل مصالح بريطانيا والصهيونية)

مات لورانس في ١٩ مايو عام ١٩٣٥ في حادثة بدراجته النارية

توماس إدوارد لورانس

-٢-

بعد إستيلاء روسيا على أقاليم هامة في أسيا وأوربا كانت تقع تحت سيطرة الدولة العثمانية بموجب مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م ، واستيلاء فرنسا على الجزائر وتونس والمغرب واحتلال بريطانيا لمصر والسودان ، شعرت ألمانيا أنها لم تأخذ نصيبها من الدولة العثمانية فاتجهت بأنظارها إلى العراق فبدأت بإرسال بعثات عسكرية بحجة التدريبات العسكرية رأى السلطان عبد الحميد الثانى أن الدولة الألمانية أخف ضرراً من بريطانيا وفرنسا وأن التعامل معها لا بأس به ، فاتفق مع شركة ألمانية لإنشاء خط سكة حديد بين دمشق والمدينة المنورة ليختصر الوقت من الشام إلى الحجاز من أربعين يوما إلى أربعة أيام فيسهل رحلات الحج والعمرة ويتسنى لهم حماية الأماكن المقدسة في حال تعرضها للخطر بدأ المشروع في عام ١٩٠٠م – ١٣١٧هج) وانتهى عام ١٩٠٨م-١٣٢٥ هج

وفى عام(١٩١٠م ـ ١٣٢٧هج)بدأت ألمانيا في مد خط سكة حديد من برلين إلى بغداد لتوطد أقدامها شيئا فشيئا . توجست بريطانيا خيفة من هذا المشروع وبدأت تشعر أن فرصها أصبحت قليلة في النيل من ثروات العراق فأرسلت رجلها لورانس بحجة التنقيب عن الآثار في مدينة قرقميش (مدينة أسرية قديمة على الشاطئ الغربى لنهر الفرات) كان الهدف الحقيقى من إرساله التجسس على البعثات الألمانية وإرسال تقاريرعن سكة حديد برلين بغداد والوضع في العراق وأيضا محاولة كسب ثقة العرب

إستطاع لورنس بأسلوبه الساحر وتودده أن يستميل قلوب العرب ، وكان متواضعًا يتقدم العمال في التنقيب والحفر ويعمل بيده ويعاملهم معاملة حسنة حتى أنه تشاجر مع الألمان من أجل حقوق العمال العرب ، وكانت ألمانيا تفتقد الحنكة والدهاء الذى تتميز

به بريطانيا فكانوا رجالها يعاملون العمال العرب بغلظة وقسوة ، فأحب العمال العرب لورانس وأحبوا العمل معه فتركوا العمل مع ألمانيا وهنا تحقق لبريطانيا أمرين

١ ـ تعطل مشروع سكة حديد برلين بغداد

٢ – إعجاب العرب بلورانس وحبهم له ولبريطانيا بلاده

وكان لورانس كثير التجوال في شمال العراق ، ثم قام برحلات إلى سورية ولبنان والأردن . . كان يلتقى بكبار القبائل ويجلس معهم ويسامرهم ويأكل معهم حتى اشتهر بين القبائل العربية فأسموه ملك العرب الغير متوج أو لورانس العرب وبينما رغب السلطان العثمانى في التعامل مع المانيا اتجهت رغبة رعيته إلى بريطانيا . أما المانيا فحقدت على بريطانيا حتى تحينت الفرصة فانضمت إلى النمسا في حربها ضد روسيا وحلفاؤها (بريطانيا وفرنسا وايطاليا) الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م . .

فى العام ١٩٠٩م علا شأن جماعة الإتحاد والترقى العلمانية في تركيا وأصبحت مقاليد الأمور في يدها فقامت بعزل السلطان عبد الحميد وولت بدلاً منه محمد رشاد (محمد الخامس) فاشتعت المظاهرات احتجاجا على عزل السلطان لكن حزب الاتحاد والترقى الجناح العسكرى لحركة تركيا الفتاة بقيادة مصطفى كمال اتاتورك قام بقمع هذه التظاهرات كما اصدر هذا الحزب قانونا يسمح بهجرة اليهود الى فلسطين ويسمح لهم بشراء أراضى فلسطين .

فى الحرب العالمية الأولى انضمت الدولة العثمانية إلى المانيا فقد كان عندها أمل عند انتصار المانيا أن تخرج الدول الإستعمارية من أراضيها

لكن بريطانيا أسرعت فتقدمت بقواتها التي في الهند ـ حيث كانت مستعمرتها آن ذاك ـ عبر الخليج العربى وبدأت في احتلال المدن العراقية واحدة تلو الاخرى ورغم أن القوات التركية كانت لهم الغلبه في كثير من الاحيان وكبدت القوات البريطانية خسائر

فادحة إلا أن الغلبة في النهاية كانت لبريطانيا كما بدأت تشجع الدول العربية على الثورة ضد الدولة العثمانية للقضاء عليها فأرسلت لورانس إلى الشريف حسين بن على الهاشمى أمير مكه وكان رجل له أطماع وأعرب ذات مرة للسفير البريطانى في العراق عن رغبته في الإستقلال عن الدولة العثمانية

كانت مهمة لورانس أن يحثه ويشجعه أن يعلن الثورة العربية ضد الدولة العثمانية فرفض الشريف حسين قبل أن يصل لإتفاق مع بريطانيا حول الدول التي سيحكمها فوعدته بريطانيا بأن يكون له الحجاز والأردن والشام عدا لبنان لوجود كثير من النصارى بها

وافق الشريف حسين وأعلن الثورة العربية الكبرى في (٨ يونيو ١٩١٦م ـ٩من شعبان ١٣٣٤م) بقيادة فيصل ولده ، وبدأ في محاربة الحاميات العثمانية بالحجاز يعاونه لورانس ويمد بريطانيا بالتقارير ، بل ويطلب منهم إرسال أسلحة أو إرسال قوات إلى هذا الموضع أو ذاك . .حتى هزم العرب بمعاونة البريطانين جنود الدولة العثمانية واشتركت معهم الكثير من القبائل وقاموا بتخريب خط سكه حديد دمشق – المدينة ، وتقدموا إلى المدن التي على البحر الأحمر وظلوا في تقدمهم حتى إستيلائهم على ميناء العقبة وفى أثناء الثورة العربية الكبرى وفى غاية السرية تمت بين إنجلترا وفرنسا اتفاقية (سايكس بيكوا) .

اتفاقية سايكس بيكو

عقدت بريطانيا مع فرنسا إتفاقية بسرية تامه تحدد فيها نصيب كل منهما في الدول العربية المتبقية لم تحتل بعد، حتى تضع النقاط فوق الحروف وتبقى على صداقتها وتتقى شر الخلاف والإختلاف معها حيث التقى وزير الخارجية البريطانى (سايكس) مع وزير الخارجية الفرنسى (بيكو) وتم الاتفاق والتوقيع على الآتى :ـ

يتم تقسيم الدول العربية بحيث تكون العراق والأردن وحيفا لبريطانيا .

وتكون سوريا ولبنان لفرنسا أما فلسطين فتظل تحت إشراف دولى

تسرب نبأ اتفاقية سايكس بيكو رغم سريتها إلى الصحف المصرية فأصيب العرب بصدمة كبيرة وخاصة الشريف حسين لكن بريطانيا أرسلت للشريف حسين وأبناءه بالإستمرار في الثورة وأن هذه ماهى إلا أكاذيب صحف وسواء صدقهم الشريف حسين هذه المرة أيضا أم لم يصدقهم فإنه كان قد أعلن الثورة العربية وأصبحت مكة وجده والطائف في يده فلا يمكن له بعد ذلك التراجع أو الإستسلام لتركيا . . كل هذه الأحداث كانت في العام ١٩١٦م

وبعد إنتهاء الحرب أعطى الشريف حسين ملك الحجاز فقط وأعطى ابنه فيصل ملك سوريا لكن في العام ١٩٢٠ وجد الحلفاء أن وضع سوريا تحت رئاسة عربى شئ يهدد مصالحهم في المنطقة ، فعقدوا إجتماع سان ريمو فى(٢٥ إبريل ١٩٢٠م – ١٣٣٩ هج) ، وإنتهى الإجتماع على وضع سوريا ولبنان تحت الإنتداب الفرنسى ووضع العراق والأردن تحت الإنتداب البريطانى وأن ينفذ وعد بلفور في فلسطين (وهو وعد أعطاه وزير الخارجية البريطانى في ٢/ ١١/ ١٩١٧ بإنشاء وطن قومى لليهود في فلسطين)

الشريف حسين الهاشمى

-٣-

الإحتلال الإيطالى لليبيا

استولت إيطاليا على ليبيا عام ١٩١١م وكانت ليبيا عبارة عن ولايتين برقه في الشرق وطرابلس في الغرب التي تنازلت عنها الدولة العثمانية لإيطاليا في معاهدة أوشى عام ١٩١٢م صارت ولايتين إيطاليتين يحكم كل منهما حاكم إيطالى ، ثم توحدت عام ١٩٣٤م وصارت ليبيا ثلاث أقاليم برقه ، طرابلس ، وفران وسميت ليبيا الإيطالية وفى عام ١٩٣٧ صارت ليبيا خمس أقاليم وهم بنغازى ،ودرنه، وطرابلس ومصراته، والصحراء الليبية .

قاوم الليبيون الإحتلال الايطالى وتشكلت فرق للمقاومة المسلحة وحاربوا سنوات طويلة في حرب عصابات تحت قيادة الشيخ المجاهد عمر المختار . .

أرسل ديكتاتور إيطاليا بنبتو مويولينى قائده رودو لفو غرستيانى لقيادة الجيوش في ليبيا قيادة الجيوش بليبيا وسحق المقاومة فتمكن من قمع المقاومة وأمكنه القبض على عمر المختار ، وأعدم شنقا عام ١٩٣١ حينها قال: "حياتى ستكون أطول من حياة شانقى

وفى أوئل عام ١٩٤٣م خسرت إيطاليا مستعمرتها (ليبيا) عندما إحتلتها جيوش الحلفاء في نهاية حملة شمال افريقيا في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥هج

الفصل التاسع

-١-

عملية أبو الهول وقتل الدكتور يحي المشد

لم يكن الدكتور يحيى المشد هو العالم العربى الأوحد التي قتلته إسرائيل فقد اغتالت العديد من العلماء والمفكرين لتغتال بذلك العلم والفكر العربى وتعوق التقدم العربى والإسلامى في أى مجال وتُوئد محاولات التطور والتنمية قى العالم العربى فمنهم على سبيل المثال :-

* عالمة الذرة المصرية سميرة موسى التي توصلت إلى تصنيع القنبلة الذرية من معادن رخيصة متوافرة في كل الدول حتى الفقيرة منها ، تم استدراج سيارتها إلى طريق جبلى مرتفع وفوجئت بشاحنة كبيرة تصطدم بها لتهوى سيارتها من أعلى الجبل إلى سفحه .

*الكاتب الكبير والمفكر وأحد علماء الجغرافيا المصريين جمال حمدان صاحب كتاب شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان ، وجد محروقا في شقته وأجزاء بسيطة من الشقة وأيضا أخبر اقرباءه باختفاء مسودات بعض الكتب

*الدكتور سمير نجيب عالم الذرة المصرى الذى كان يعمل أستاذًا للفيزياء في جامعة ديترويت وبمجرد قراره بالرجوع لبلده بعد حرب ١٩٦٧ ورفضه كل العروض التي تلقاها بشأن بقاؤه في أمريكا حتى فاجأت سيارته قبل سفره بيوم شاحنة كبيرة حاول يتفاداها لكنها تعمدت الإصطدام به وتحطيم سياراته ماجعله يلقى حتفه في الحال .

*الدكتور نبيل القلينى عالم أيضا في الذرة وقد اختفى عام ١٩٧٥م

*العالم على مصطفى مشرفه عالم الفيزياء النظرية المصرى والملقب باينشتاين العرب وجد ميتًا على فراشه في ١٦ يناير عام ١٩٥٠م ولم يُعرف السبب في موته .

*الدكتورة سلوى حبيب الأستاذة بمعهد الدراسات الأفريقية كانت مناهضة للتدخل الصهيونى الإقتصادى والسياسى في أفريقيا وعملت عدة دراسات كشفت فيها النوايا الصهيونية وهى صاحبة كتاب " التغلغل الصهيونى في أفريقيا " وجدت مذبوحة داخل شقتها ، وغيرهم العديد من العلماء والمفكرين .

إخترت منها قصة مقتل الدكتور يحيي المشد لإقترانها بعملية تفجير المفاعل النووى العراقى

* **البداية**:

بدأت الحكاية عندما بعثت المخابرات العراقية أحد العلماء الشبان في مجال الطاقة النووية " حليم بطرس " ٤٢ عاما بصحبة زوجته إلى باريس في الأسابيع الأخيرة من عام ١٩٧٨م ليعمل في مكتب الاتصال العراقى المشرف على تنفيذ صفقة شراء المعدات النووية وتنشيط شحنات من اليورانيوم في المعامل الفرنسية وذلك بعد أن تلقى تدريبات طويلة في مراكز المخابرات في بغداد ولم تهمل المخابرات التشديد عليه وعلى غيره من زملاءه بضرورة الإحتياط والسرية الشديدة في التعاملات والتحركات

وكانت اسرائيل قد بدأ تشعر بالقلق عندما علمت باتفاقية سرية بين بغداد وفرنسا لشراء مفاعلات نووية وبالفعل وافقت فرنسا على تزويد بغداد ب ٦٣ بالمائة من اليورانيوم ومفاعلين نووين ومعدات أخرى لإستخدامها في الأغراض السلمية

والعسكرية كما اتفقت على تزويد العراق بـأربع منظمـات للطاقـة تعمـل بشـحنة بلـغ حجمها ١٥ رطل من اليورانيوم وهى تكفى لصنع أربعة قنابل نووية

حاولت أمريكا في عهد الرئيس الأسبق جيمى كارتر معارضـة الصـفقة وإحباطهـا ولكن الحكومة العراقية أصرت على إعتبار أن هذا من حقها .

طلبت إسرائيل من أحد عملائها في فرنسا وهو جاك مارسيل الذى يعمل في الشئون الإدارية للمجمع النووى الفرنسى ضرورة الحصول علـى قـوائم الشخصـيات العراقيـة العاملة بالمجمع في سارسيل ومعلومات عنهم على وجه السـرعة وأيضـا قـوائم أسمـاء العناصر العراقية العاملة في مكتب الإتصال بباريس والمشرفين على تنفيذ إتفاقيـة بـرامج التسليح النووى ، وما أن تسلمت المخابرات الإسرائيلية تلك القوائم والمعلومات حتـى بدأوا تحليل المعلومات فوقع إختيارهم على حليم بطرس فأسـرعت الإدارة الإسـرائيلية بإرسال رسالة الى باريس تطلب فيها سرعة العمل على تجنيد حليم بطرس والحصول منه على المعلومات اللازمة .

تجنيد حليم:

وكان حليم ينطلق يوميا من مسكنه الى قلب بـاريس مسـتخدمًا "الأتـوبيس" مـن محطة فيلاجيف إلى محطة قطارات الأنفاق "سان لازار" حيث يستقل القطـار إلى منطقـة سارسيل شمال باريس التي يوجد بها مكتب الإتصال العراقى الذى يعمـل بـه ، وبـدأ حليم يلاحظ فتاة حسناء جميلة تقف إلى جواره في المحطة لتأتى سـيارة فـيرارى حمـراء لتلطقتها وتنطلق بها ، وتكرر هذا حتى جاء يوم وانتظرت فيه الفتاة فلم يـأتى صـديقها بسيارته ، فركبت الأتوبيس وبعدها بدقائق جاءت السيارة الفـيرارى الحمـراء ووقفـت أمام المحطة ، ابتلع حليم الطُعم ، فتطوع واقترب من السيارة ليخبر قائدها أن صديقته قد استقلت الحافلة فشكره وسأله عن وجهته وألح عليـه في توصـيله أخـبره أنهـا نفـس

وجهته حيث أنه يذهب إلى محطة قطار سان مارتن وهى لا تبعد كثيراً عن سان لازار وفى الطريق تجاذبا أطراف الحديث قدم نفسه لحليم باسم " جاك دونافان " .

بدأت فرق إسرائيلية مخابراتية في مراقبة حليم وزوجته وزرع أجهزة التصنت في جميع حجرات شقته ، وتأجير مسكن إلى جوار مسكنه ليكون مركز للمراقبة ولعمليات أخرى لاحقة وإرسال التقارير اللازمة لرؤسائهم في الموساد ، كما أرسل جهاز الموساد إحدى عميلاته إلى سميرة زوجة حليم تطرق بابها كبائعة عطور وقدمت نفسها لها باسم جاكلين ثم تجاذبت أطراف الحديث معها وأخبرتها أنها تستعين بهذا العمل على تدبير نفقات دراستها وإقامتها في إحدى المعاهد بباريس نجحت جاكلين في اقامة صداقة بينها وبين سميرة وكسب ثقتها وأحضرت لها أفضل العطور وذلك لتفضفض سميرة معها وتعرف الكثير من طبيعة العلاقة بينها وبين زوجها وغيره من المعلومات الهامة التي كانت تسرع بإيصالها إلى الموساد ، كما علمت منها أنها ستسافر قريبا إلى العراق لتكون إلى جوار والدتها التي ستُجرى لها عملية جراحية .

ولم يكن جاك دونافان الذى تعرف على حليم وأوصله إلا أحد عناصر "الكاتسا" Katsa أى جامعى المعلومات وهم الطائفة اليهودية الفرنسية المتعاونين مع الموساد ، أخبر حليم دونافان أنه طالب دراسات عليا يدرس على نفقة الحكومة العراقية بينما أخبره دونافان أنه سمسار يعمل في حقل التجارة الخارجية

تعود حليم أن يوصله دونافان في أحيان كثيرة إلى محطة قطار مارتن ، وأن يحتسيا القهوة سويًا في إحدى مقاهى باريس قبل أن يستقل قطاره إلى جهة عمله وبدأ دونافان يشتكى من صداقته لهذه الحسناء الذى يوصلها وأنها أصبحت عبئ عليه بمطالبها الكثيرة . . ذلك ليبرر لحليم فيما بعد اختفاء الفتاة الذى انتهى دورها

ومع سفر سميرة إلى العراق أصبح حليم أكثر حرية في التجول والتنزه والتردد على المقاهى والمطاعم ودور السينما وكان دونافان يدعوه للإستمتاع بالوقت في الملاهى الليلية وينفق ببذخ على صاحبه الذى بدأ يقبل على الشراب بعد أن كان يرفضه ، وفى ليلة من الليالى أثناء إحدى السهرات صارح دونافان حليم أنه مقبل على صفقه شراء وتصدير كمية من الأكواخ الصفيح إلى بلاد أفريقيا ، وأنه يرحب به إذا أحب أن يصطحبه في رحلة سريعة في عطلة نهاية الأسبوع إلى إحدى مخازن الشركات ليتعرف على نوع جديد من العمل . . فقبل حليم وذهب مع صديقه وهناك قابلا التاجر الذى لم يكن إلا عميل للموساد أيضا . فلاحظ حليم أن الأكواخ بها بعض الصدأ وبعض العيوب فقام بتنبيه صديقه الذى ما أن علم بالعيوب حتى طلب تخفيض ثمن الأكواخ ، وبدأا العميلان يتظاهران بأنهما يتفاوضان حتى قبل البائع بالسعر الذى أراده دونافان .

وفى طريق العودة أخرج دونافان من حقيبته ١٠٠٠ دولارا وألح على حليم في قبولها ، وأخبره أنها ثمن لنصيحته التي أدت إلى تخفيض ثمن الصفقة ، وأن هذا حقه .

هنا شعر حليم أن علاقته بدونافان مجديه ، لكن الإنفاق ببذخ في السهرات والألف جنيه هذه لم تكن إلا طعم جديد ابتلعه حليم بسهولة أيضا

وفى جناح دونافان بفندق سوفتيل ٣٢ شارع دومنيك كانت سهرة أخرى وعشاء فاخر دعاه له دونافان وقدم له في هذه السهرة صديقة له تدعى "مارى كلود ماجال" التي لم تكن إلا إحدى العميلات ، والتى كانت عضوة في إحدى شبكات الدعارة . جاء إتصال إلى دونافان فاستأذنهما للذهاب لموعد عمل كان قد نسيه ، وانطلق حليم يستمتع مع الحسناء بالشراب وطعام العشاء والرقص ومتعة الفراش في جناح دونافان الذى كان ملئ بكاميرات التجسس التي لم يراها حليم ولم يكن الهدف إبتزاز حليم بهذه الصور فحسب لكن الأهم إكمال دراسة وتحليل شخصيته على إيدى خبراء علم النفس للتمكن من السيطرة عليه والتعامل الأمثل معه وإخضاعه . .

وبعد أيام بينما كان يجلس حليم مع دونافان يحتسان القهوة الساخنة في إحدى المقاهى بدى دونافان مهموما يفكر وادعى لحليم أنه مقبل على صفقه لكن لديه مشكلة، فهو بصدد عقد صفقه ضخمة مع أحدى الشركات الألمانية لشراء كمية من مواسير الغاز المستخدمة في شحن المواد المشعة المستخدمة في الأغراض الطبية وأن هذه الصفقة قيمتها كبيرة وستدر عليه أرباحا مهوله لم يكن يحلم بها يقول: لكن المشكلة أن معلوماتى محدودة عن مواسير الغاز المشع كما أن الوسيط الإنجليزى يطلب مبالغ باهظة كعمولة، وأنا لا أستطيع التفكير. . أعرف أنك لا يمكنك مساعدتى لكننى افضفض لك فقط بما يكدر صفوى. .

وهنا رد حليم: من قال لك أننى لا أستطيع مساعدتك في تقدير قيمة المواسير والكشف عن جودتها؟!

قال دونافان: وما أدراك أنت بمثل هذه السلع العلمية؟

فرد حليم بفخر: لقد أخبرتك في البداية أننى طالبًا ، لكن في الحقيقة أنا أعمل بمجال الطاقة النووية أرسلتنى الحكومة الفرنسية للإشراف على أحد مشاريعها السرية المشتركة مع الحكومة الفرنسية وبإمكانى مساعدتك في عقد هذه الصفقة الهامة مع الشركة الألمانية ووسيطها الانجليزى.

وهنا ظهرت فرحة عارمة ودهشة على وجه دونافان ظنها حليم فرحة بحل مشكلة عقد الصفقة بينما هى فرحة بنجاحه بجعل صيده يعترف بهويته الحقيقية بهذه السهولة والتى ستسهل المهمة وتسرع بها. .

وبالفعل تقابل حليم في مكتب دونافان بأمستردام برجلين يبدوا على هيئتهما أنهما رجال أعمال ، قدم أحدهم نفسه أنه ممثل الشركة الألمانية ولم يكن سوى أحد خبراء الطاقة النووية الإسرائيليين ويدعى بنيامين جولدشتاين أما الآخر ويدعى إيزاك فقد مثل دور الوسيط الإنجليزى.

وبعد عبارات الترحيب إدعى دونافان إضطراره للمغادرة وقال : أنه يثق جداً في حليم وفى أنه سيقوم بعمله على أكمل وجه . . وبعد فحص عينه المواسير والإتفاق على إتمام الصفقة أعرب جولدشتاين عن إعجابه بالمعلومات الدقيقة التي يمتلكها حليم وخبرته الواسعة ودعاه هو وإيزاك لتناول العشاء

وأثناء تناول العشاء أخبره جولدشتاين أن بلاده تتمنى لو تستطيع بيع أحد المفاعلات النووية الحديثة لإحدى دول العالم الثالث ، وأنهم يحتاجون لمثل من هو في خبرتك الواسعة في هذا المجال للدخول في إبرام هذه الصفقة .

وقالوا له : إن عمل كهذا سينقلك من مجرد خبير لبلادك إلى خبير دولى ورجل أعمال ، وهذا سيجعلك أكثر ثراءاً وستكسب أموالاً طائلة ، فيجب أن تستفيد من خبرتك وعلمك . . وافق حليم دون تردد بعد أن أغراه المال والمنصب على الدخول في هذه الصفقة الوهمية بين ألمانيا وإحدى دول العالم الثالث كخبير دولى في هذا المجال .

وبعد عودة حليم إلى فرنسا بأيام بدأ يلتقى بإيزاك الذى يظن أنه وسيط في هذه الصفقات ، وبدأ إيزاك يطلب منه تصميمات المفاعل النووى العراقى ، وموقعه وماهى طاقة عمله ، ومواعيد إستكمال مراحله وحليم يجيب ظنا منه أنها معلومات ضرورية وإستفسارات من الشركة الألمانية

كما بدأ جولدشتاين يطلب منه وصف مواصفات المعدات والمفاعلات التي سوف ترسلها فرنسا إلى بلاده وكان حليم يمدهم بالمعلومات مقابل مكافآت مالية سخيه . .

لكن حليم بدأ يشعر بالخطر ، وبأنه متورط في شبكة تجسس على بلاده ولم يعرف كيف يتصرف لكنه عاد إلى غباءه وتغفيله ولم يدرك بعد حجم المؤامرة حيث اتصل بدوفان ليستنجد به باعتباره صديقه الحميم . . بكى حليم أمام دوفان وأخبره بحقيقة الصفقة التي أخفاها عنه ، وأنه تورط في التجسس ويخشى أن يكون هذان الرجلان

إسرائيليان في الحقيقة ، وأخذ يبكى ويقول سأعلق على المشانق العراقية أو أضرب بالرصاص ، وهنا طمأنه دوفان وأخبره أنه سيسأل عنهم وبعد فترة إلتقى مرة أخرى به وأخبره أنه تأكد أنهما من المخابرات الأمريكية . CIA قال له : إنهم يهمهم المعلومات فقط ، وأعتقد أنهم لا يريدون منك شئ آخر سوى معرفة شئ واحد إن عرفوه سيبتعدوا عنك ولن يضايقونك مرة أخرى وسوف ترتاح من هذه الورطة الى الأبد . .

أجاب حليم : وماذا تعتقد أن تكون هذه المعلومة؟

عبث قليلا دوفان في حقيبته وقال : أعتقد أنهم سيطلبون منك أن تخبرهم برد فعل العراقيين إذا عرض عليهم الفرنسيين بديل أخر لتخصيب اليورانيوم ، فما هو هذا البديل ، وماذا يطلقون عليه ، هل هو مادة الكاراميل أم مادة أخرى؟ فاذا كنت تعرف هذه المعلومة فالقيها لهم لترتاح للأبد

قال حليم : اذا كان هذا ما يودون سماعه فهو أمر سهل

إن دكتور يحي المشد العالم المصرى النووى سيصل إلى باريس في غضون أيام ليقوم بالتفتيش على ما تم إنجازه من البرنامج النووى العراقى الفرنسى ، وسيقرر بعد ذلك موقف الحكومة العراقية من بدائل التخصيب التي يعرضها الخبراء الفرنسيين ومن ثم المضى في المراحل التالية ويمكننى معرفة كافة المعلومات والقرارات التي ستتخذ في هذا الشأن . فرح دونافان بهذه المعلومة وبدأ في طرح الأسئلة بخصوص الدكتور يحي المشد

ثم أخذ يهون على حليم الأمر ويخبره أنها أزمة عارضة لا ورطة كما كان يتصور فهدأت نفس حليم وأخذا يقضيان الليلة في الشراب والمرح وحين هم بالإنصراف ودعه دونافان بحرارة وأخبره أن يدعو الدكتور يحى المشد على العشاء ليتسنى له افتعال مصادفة لأنه يتمنى لو يتعرف على الدكتور يحى المشد .

وفى مطعم بيسترو قدم دونافان فقام حليم يحييه وكأنه تفاجأ به وقدمه إلى الدكتور يحيي المشد كأحد رجال الأعمال وأحد أصدقاءه ، أما دكتور يحى فكان شديد الحرص لا يتكلم كثيراً كما ظهر على وجهه عدم تقبله لفكرة إنضمام دونافان لهما في العشاء مما جعل دونافان يعتذر شاكراً .

كما أنه كان حريص مع حليم نفسه الذى أبلغ دونافان فيما بعد عن صعوبة الحصول على معلومات من دكتور المشد

غير أن حليم لم يكن مطلوب منه إلا الجدول الزمنى لشحن المعدات

تنفيذ عملية أبو الهول

في الساعات الاولى من صباح ٥ أبريل ١٩٧٩م كانت هناك شاحناتان تتحركان ببطء على طريق السيارات السريعة القادمة من مصانع داسو ومخازن طائرات الميراج إلى مدينة " سين سير مير " بالقرب من مدينة طولون الواقعة على الريفيرا

ومع حركة الشاحناتان البطيئة انضمت لهما من طريق فرعى شاحنة ثالثة تتحرك ببط خلفهم دون أن يلاحظها أى من قائدى السيارتين ، وفى الشاحنة كان يختبأ مجموعة من خبراء "النيفيوت" الإسرائيلية المتخصصون في عمليات التخريب وزرع الألغام واستخدام أحدث معدات الدمار وكانو يرتدون ملابس العمال ويستعدون لإحدى أخطر عمليات التخريب التي دبرها الموساد على الأراضى الفرنسية بعد أن توافر لهم كافة المعلومات عن مواقع مخازن المعدات النووية التي سترسلها فرنسا لبغداد ومواعيد شحنها واكتمال شحنها لآخر قطعة في مخازن المجمع الفرنسى بسارسيل هذه المعلومات التي حصلوا عليها من حليم بطرس ، سميت العملية بعملية " ابو الهول"

وكانت مجموعة التخريب تعلم أن حراس المجمع يفتشون بدقة الشاحنات المغادرة للمجمع لكن لا يفتشون الشاحنات الخارجة منه

اندفع حارس جديد لم يمض على تسلمه العمل عدة أيام فذهب إلى سائق الشاحنة الثالثة ودس في يده مفتاح أحد المخازن الداخلية دخلت الشاحنات الثلاثة واتجهت الشاحنه الثالثة إلى المخزن المحدد حيث معدات المفاعل النووى العراقى مخبأه داخل صناديقها إستعدادا لشحنها من إحدى الموانئ الفرنسية إلى بغداد

وخلال أقل من نصف ساعة كانت مجموعة التخريب " نيفيوت قد قاموا بزرع المتفجرات داخل صناديق المفاعل النووى وضبط ساعات المفجرات على الزمن المحدد وانسحبوا بهدوء وما أن ابتعدوا حتى بدأت الإنفجارات متلاحقة داخل أحد المخازن وكانت المعاينة الأولى تؤكد تدمير أكثر من ٦٠ بالمائة من معدات المفاعل النووى العراقى التي جرى تصنيعها خلال ثلاث سنوات بينما لم يلحق الدمار بأى من المعدات الاخرى

تدفق المسؤلين عن المجمع على موقع الحادث وأذيع بيان قصير بحجم الخسائر التي بلغت ٢٣ مليون بينما وزعت إحدى المنظمات الفرنسية التي لم يسمع عنها من قبل نسخا من بيان على الصحف ووسائل الإعلام تزعم فيه مسؤليتها عن الحادث وتوقع باسم "جماعة حماية البيئة الفرنسية " .

وقامت الحكومة الفرنسية بالتعتيم على أنباء عملية التخريب رغم نفيها المزاعم التي جاءت في بيان جماعة حماية البيئة وتركت للصحف تخميناتها فهناك من اتهم الجماعات الفلسطينة العاملة لحساب ليبيا وهناك من اتهم أمريكا كما اتهمت إحدى الصحف إسرائيل ، لكن الحكومة الإسرائيلية ردت بالنفى وأن مثل هذا الإتهام يُعد لون من ألوان العداء للسامية . .

وحين سمع حليم أنباء الإنفجار صرخ وبكى وقال لقد فعلوها سوف أشنق سوف أشنق ولاذ بدونافان مرة أخرى يبكى أمامه ويلطم خديه ويقول له أنه يرغب في الرجوع إلى بلده قال دونافان : الآن إلتزم الهدوء لا أحد يستطيع الربط بينك وبين حادثة التخريب هذه ولكن حليم لم يهدأ هذه المرة ونفذ قراره وعاد إلى بغداد .

مقتل الدكتور يحى المشد:

لم تنتهى العملية بهذا الشكل عند المخابرات الإسرائيلية فهناك الدكتور يحى المشد أحد أهم علماء الطاقة النووية والذى يضع جهده في خدمة إنتاج الأسلحة النووية لأى من الدول العربية التي ترغب في ذلك وأولها دولة العراق

وبعد عدة شهور وفى إحدى زيارات الدكتور المشد لباريس علم الموساد من خلال الجواسيس والتقارير أن دكتور يحى قادم إلى فرنسا وعلمت موعد وصوله وأنه سينزل في فندق المرديان حجرة رقم ٩٠٤١ وفى تلك الليلة يوم ١٣ يونيو عام ١٩٨٠م بعد أن صعد دكتور يحيى إلى غرفته طرق أحدهم باب الغرفة وكان شخصا يتكلم العربية بلكنه إنجليزية، ولما سأله عما يريد أخبره أنه مبعوث إحدى القوى الكبرى التي على استعداد لتقدير علمه والدفع له بمبالغ ضخمة هائلة إذا قبل التعاون معهم، فهم الدكتور المشد وقبل أن يكمل الرجل كلامه نهره وطرده وصرخ في وجهه وهدده بإبلاغ البوليس إذا لم يذهب في الحال ، وكان هذا الرجل أحد أبناء الطائفة اليهودية الفرنسية الكاتسا ويدعى " يهودا جيل "

انتظرت المخابرات الإسرائيلية حتى انتصف الليل وساد الهدوء حيث تأكدت من أن دكتور يحيى يغط في سبات عميق فأرسلت بعميلين إلى الغرفة ٩٠٤١ بفندق ميريديان ففتحوها ببطاقة إلكترونية خاصة وقاما بذبح دكتور يحى المشد وتركوه غارقا في دمائه ، ولم تستطع الشرطة الفرنسية التوصل للجناة وقالت إن المنفذين قتلة محترفين فلم يتركا أى أثر لهما بالمكان وقيدت هذه الحادثة ضد مجهول .

وأرسلت الموساد " مارى كلود ماجال " إلى الشرطة الفرنسية أثناء التحقيقات لتشويه سمعة الدكتور المشد وإظهار أنه رجل مستهتر ويمكن أن يكون له أعداء أو منافسين على فتاة أو غيره، فقد أدلت هذه المرأة بأنها كانت تذهب إلى الدكتور يحيي

المشد في غرفته كلما زار باريس ، فكان يطلبها من أحد القوادين وأخبرت الشـرطة أنـه كان رجل نهم جنسيا لا يشبع فكان الزبون الوحيد الـذى يرهقهـا ويتعبهـا . . ونشـرت الصحف ذلك الكلام بل موجود في كتب الكتاب الأجانب إلى الآن الـذين يكتبـون عـن الجاسوسية لكنهم لو فكروا قليلا لعلموا أن لو كان كلام " مارى كلود" حقيقيًـا لكـان سهل جدا على إسرائيل تجنيد دكتور يحيي بتصويره وابتزازه وتهديده بفضح عـالم كـبير مثله . .

المشهد الأخير

قام الإسرائيليون بما يسمى بتطهير ساحة العمليات فبعد القضاء على الدكتور يحى المشد أرسلت المخابرات الإسرائيلية إلى بغداد من قضى على حليم بطرس فوجد مقتولاً كما قضت أيضا على حياة "مارى كلود ماجال"

ثم بدأ تنفيذ المشهد الأخير من العملية الكبرى (أبى الهول) ففى الساعة الرابعة يوم السابع من يونيو عام ١٩٨١م طارت إلى بغداد مجموعتان من أسراب قاذفات F-15, F-16 من إحدى مطارات بئر سبع وبسرعة ٦٥٠ ميل في الساعة وبارتفـاع مـنخفض لتجنـب الردارات وفى عملية استغرقت ٩٠ دقيقة قامت القاذفات بتدمير المنشآت والمبـانى الـتي جُهزت للمفاعل النووى العراقى في منطقة التويثة خارج العاصمة العراقية والتى سبق أن حدد مكانها لهم "حليم بطرس" . وضاع أمل العراق في امتلاك مفاعل نووى أو تصنيع قنبلة نووية

أما رواية كل ما حدث في هذه العملية فقد استمدها المترجمون من الكتب الإسرائيلية والأمريكية ومن رواية دونافان جاك وغـيره مـن المشـرفين علـى هـذه العمليـة للكتـاب والمؤلفين . .

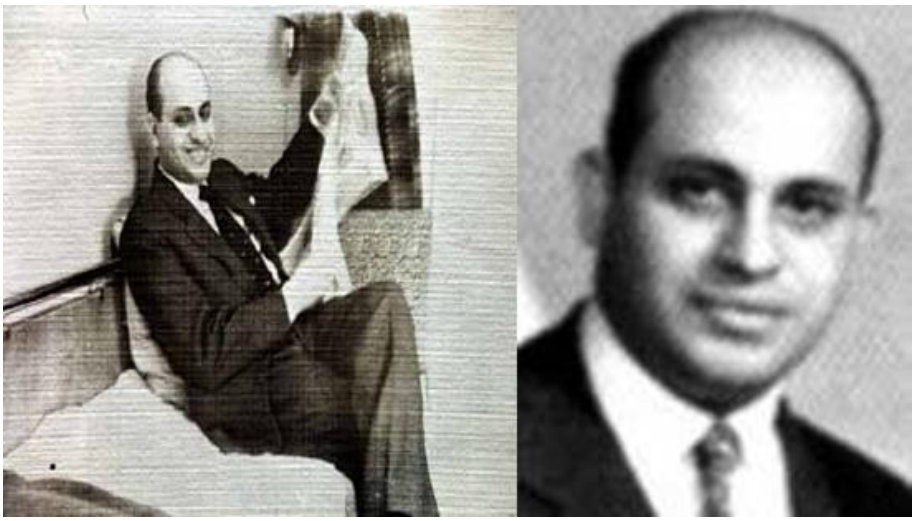

الدكتور يحيى المشد

******

ـ٣ـ

أمريكا

رغم أن العراق لم تحاول مرة أخرى إمتلاك مفاعل نووى، ورغم إتفاقية الحد من إنتشار الأسلحة النووية التي وقعت عليها العراق وغيرها من الدول ، فقد احتلتها أمريكا بحجة امتلاكها سلاح نووى فقط لتنهب ثرواتها وتقضى على دولة عربية عظمى كالعراق وتشتتها ثم تسلمها للشيعة دولة متهالكة يتحاربون إلى الآن سنة وشيعة ، وذلك بعد أن أكدت بعثات التفتيش على الأسلحة النووية ومعدات تصنيعها أنها لم تجد شيئا ولم تجد مايدل على نية العراق في عمل برنامج نووى ولا حتى من أجل أغراض سلمية . .

وإذا تحدثنا عن جرائم أمريكا ونذالتها بالتفصيل لن تكفينا مجلدات ولذلك سنكتفى بذكر بعض جرائمها بالأرقام

١٤٠,٠٠٠ قتيل ـ قنبلة هيروشيماـ اليابان ٦(أغسطس ١٩٤٥م)

٨٠,٠٠٠ قتيل ـ قنبلة ناجزاكىـ اليابان ٩(أغسطس ١٩٤٥م)

١،٥٠٠,٠٠٠ قتيل في الفلبين (١٨٩٩ـ١٩١٣م)

٨٠٠,٠٠٠ قتيل في ألمانيا " الحرب العالمية الثانية "

٨٥٠,٠٠٠ قتيل في العراق والكثير من حالات الاغتصاب(٢٠٠٣

مجازر متعددة في إيطاليا والمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية

مجازر في الصومال

٤٠٠ قتيل أغلبهم من النساء والأطفال في قرية توجن رى بكوريا الجنوبية

٢٥٠,٠٠٠ قتيل في أفغانستان وباكستان ٢٠٠١

٤,٠٠٠,٠٠٠ مليون قتيل في فيتنام ١٩٥٥ م

١٣٣٦ حالة اغتصاب في اليابان خلال الحرب العالمية الثانية

الإشتراك في العدوان الثلاثى على مصر ١٩٦٥

مساعدة إسرائيل في جميع جرائمها ضد الشعب الفلسطينى

******

الفصل العاشر

-١-

إسرائيل

بدأ سعى اليهود لدى الدول العظمى بزعامة تيودور هرتزل لإقامة وطن لهم في الشرق الأوسط وتبدى ذلك واضحا حين طالب به اليهود في مؤتمر "بازل" عام ١٨٩٧م/ ١٣١٤ هج وكان التفكير في البداية يتجه إلى شمال أفريقيا ثم حددوا منطقة العريش بمصر لكنهم اختلفوا وفشلت الفكرة فاستقر رأى اليهود على اختيار فلسطين وطن لهم وسعى هرتزل لدى الدولة العثمانية فحاول رشوة السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى بعشرين مليون ليرة تركية لكن السلطان رفض، كما أصدر قرار بمنع بيع الأراضى الفلسطينية إلى اليهود.

عمل اليهود على نشر فكرتهم في الدول الأوربية كلها ووجدوا تشجيع لهم من حكومات الدول الأوربية فهم

أولا سيتخلصون من أعبائهم ومطالبهم

وثانيا سيحافظون على مصالحهم الإستعمارية في الشرق الأوسط ويكونون عونا لهم. .

وثالثا يضمنون عدم بقاء القدس في إيدى المسلمين العرب

وكان آرثر بلفور وزير الخارجية البريطانية من أشد المتحمسين للفكرة فأصدر وعد كان عبارة عن رسالة للورد روتشيلد نشرت في جميع الصحف البريطانية في ٨ نوفمبر عام ١٩١٧م يعد فيه بإقامة وطن لليهود في فلسطين ويقول فيه "سنبذل قصارى جهدنا لتحقيق هذه الغاية"

سارعت الدول الأوربية بإعلان تأييدها لهذا الوعد بينما كانت ردود الأفعال العربية الغضب والإستنكار فهو كما سمى " وعد من لا يملك لمن لا يستحق "

أرسلت بريطانيا إلى الشريف حسين تطمئنه وتخدعه بأنها لن تسمح بـذلك ولكنهـا سمحت للجنة اليهودية بقيادة هرتزل بالدخول

وكانت فلسطين حتى عام ١٩١٤ م وهو بداية الحرب العالميـة الأولى تابعـة للدولـة العثمانية ولما دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانـب ألمانيـا وكانـت الغلبـة لبريطانيـا وفرنسا فقد خسرت كل أراضيها لصالح بريطانيا وفرنسـا بحسـب معاهـدة سـيفر عـام ١٩٢٠ ومعاهدة لوزان عام ١٩٢٣م وبدأت فرنسا وانجلترا يقسمون الأراضى العثمانيـة فيما بينهم فكانت فلسطين من الأراضى التابعة لبريطانيا

ولما دخلت الجيوش البريطانية القدس بقيـادة الجنـرال اللنبـى هنـاك ترجـل القائـد الإنجليزى وقال مقولته الشهيرة(الآن انتهت الحرب الصليبية)

و بعـد ثلاثـة أعـوام دخـل الجنـرال الفرنسـى "غـورو" دمشـق عـام "١٩٢٠م/ ١٣٣٨هج" ووضع قدمه على قبر صلاح الدين الأيوبى وقال (ها نحـن قـد عدنا ثانية ياصلاح الدين) .

. . وما لبث أن وافقت "عصبة الأمم المتحدة" ـ أو قل عصابة الأمم المتحدة ـ علـى أن يوضع وعد بلفور حيز التنفيذ الفعلى في ٢٩ سبتمبر عام ١٩٢٣م .

بدأ اليهود في النزوح إلى فلسطين وقامت الـدول الأوربيـة بتسـليح اليهـود وقامـت الدول العربية : مصر – الأردن – سـوريا – العـراق – السـعودية بحـرب ضـد القـوات اليهودية المستعمرة في فلسطين في يناير ١٩٤٨م

كانت بريطانيا قد أعلنت إنتهاء انتدابها على فلسطين وأصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية وكان التقسيم

٥٦٪ لليهود . .

٤٣٪ للعرب

١٪ منطقة القدس تصبح دولية (أى ليس لأحد سيطرة عليها)

وصلت الجيوش العربية إلى فلسطين وهاجمت المستعمرات اليهودية وقد خسرت القوات الصهيونية واستطاع العرب الحفاظ على القدس والضفة الغربية كان تعداد الجيش العربى ٢٢ . ٩٧٦ جندى مسلحين منهم ١٠ . ٠٠٠ جندى من الجيش المصرى وحده أما تعداد اليهود فكان ٤٥ . ٠٠٠مقاتل منهم ٣٠ . ٠٠٠ من يهود فلسطين . . استمرت المعارك الشرسة وكانت الغلبة للقوات العربية فتدخل مجلس الأمن وفرض وقف إطلاق النار ومنع تسليح أى من الطرفين وتحديد هدنه مدتها أربعة أسابيع . . لكن الأسلحة والطائرات الحربية إنهالت على اسرائيل وتطوع ٢٠ . ٠٠٠من يهود أوربا للقتال ولم تلتزم إسرائيل بالهدنة ، فأسرعت بتعويض خسارتها فحاصرت الجيش المصرى في الفالوجة واستأنف القتال في جميع الجبهات وكانت الغلبة للجيش الإسرائيلى واستولت على مساحات واسعة من الأراضى الفلسطينية ثم تم وقف إطلاق النار وانتهى القتال يوم ٧ يناير ١٩٤٩م ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين في جزيرة رودوس باليونان بين الطرفين بوساطة منظمة الأمم المتحدة وذلك في ٧ مارس ١٩٤٩ م ، وفيها تم تحديد الخط الأخضر وهو الذى يفصل بين الأراضى المحتلة التي أصبحت ملك لإسرائيل وبين الأراضى الفلسطينية ، وتم الإعتراف بإسرائيل وبما أقره لها قرار الأمم المتحدة من أرض كما وصى مجلس الأمن بقبول إسرائيل عضواً كاملاً في الأمم المتحدة سميت حرب ١٩٤٨ ب "النكبة" .

جرائم إسرائيل

جرائم إسرائيل ضد العرب والمسلمين عامة وضد الشعب الفلسطينى خاصة لا تعد أيضا ولا تحصى نذكر منها

*إحتلال الأراضى الفلسطينة عام ١٩٦٧م واحتلال الجولان بسوريا وسيناء بمصر وقتل آلاف الجنود ، دفن الجنود المصريين أحياء ، كما قامت القوات الإسرائيلية بتقييد بعض الأسرى وقتلهم سيراً فوق أجسادهم بالدبابة

*الزج بآلاف الفلسطنيين في السجون والمعتقلات يقدره الخبراء بنحو ٧٠ ٪ من الشعب الفلسطينى ويقال أنه لا يوجد من الشعب الفلسطين مالم يذق السجون الإسرائيلية هذا بالإضافة للمطاردات والقتل والإعتقال والتضييق في الرزق

*تعرض المسجونين للضرب والإهانة والتعذيب

*الإستيلاء على الأراضى الزراعية الفلسطينة وتجريفها وقطع أشجار الزيتون

*طرد الفلسطينيين وتشريدهم من ديارهم والإستيلاء عليها بلده وراء بلده وهدمها وإقامة مكانها مستوطنات إسرائيلية لمواطنيهم بحراسة الجيش الاسرائيلى حيث يلجأ الفلسطينيين لعمل مخيمات يعيشون فيها ويمارسون حياتهم ويعلمون أطفالهم في الخيام ثم يبدأون ببناء بيوت صغيرة لهم .

*إرتكاب المجازر والمذابح مثل مذبحة صبرا وشتيلا ومذبحة دير ياسين

مذبحة صبرا وشاتيلا في ١٦ سبتمبر ١٩٨٠م

ارتكبت المذبحة التي هزت الرأى العام العالمى في مخيمي صبراً وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في لبنان والتى راح ضحيتها ما يقرب من أربعة الآف قتيل على الأقل من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ من المدنيين العزل من السلاح ، أبلغ الصليب الأحمر

أنه جمع ثلاثة آلاف جثة وأبلغ الأهالى أنهم جمعوا ألفين آخرين وشهدوا أنهم وجدوا أطفال أربعة وثلاثة سنوات . . كانت المجزرة بالإتفاق بين القوات المحتلة بقيادة إريل شارون وبين حزب الكتائب اللبنانى قامت المليشيات اللبنانية المسيحية بمهاجمة المخيم ليلاً بالأسلحة البيضاء وغيره من أدوات التصفية فقاموا بتصفية الفلسطنيين العزل وكان دور القوات الإسرائيلية هى حصار المخيم وأضاءته بالقنابل الضوئية ومنع أى شخص يحاول الهرب وقتله ، وعزل المخمين عن العالم حيث لاتصور آلات الإعلام إلا بعد انتهاء المهمة

مذبحة دير ياسين ٩ ابريل ١٩٤٨م

وقعت هذه المجزرة على يد الجماعتين الصهيونتين : أرجون وشتيرن فقد طلب رؤساء المستوطنات المجاورة توقيع اتفاقية سلام مع قرية دير ياسين الواقعة غرب القدس وافق أهل قرية دير ياسين وتم التوقيع على هذه الاتفاقية وبعد أسبوعين من الإتفاقية قامت هاتان المجموعتان بمهاجمة قرية دير ياسين وقتل الكثير من سكانها من أطفال ونساء ورجال وشيوخ ذكرت المصادر أنها بلغت ٣٦٠ قتيل فلسطينى

*مهاجمة المصلين في المسجد الاقصى وغيره من المساجد والتضييق على المصلين

* قتل العلماء العرب وخاصة علماء الطاقة النووية كما ذكرنا

* وافشال المشاريع الكبرى العربية والمسلمة وارتكاب عمليات التخريب والتدمير

*المتجارة بأعضاء الفلسطينيين

نشر الصحفى السويدى دونالد بروستروم تحقيقا صحفيًا في صحيفة أفتوم بلاديت السويدية الأكثر إنتشاراً في السويد في ١٧ أغسطس عام ٢٠٠٩ قال فيه إن إسرائيل متورطة في قتل مئات الفلسطنيين وانتزاع أعضاء من أجسادهم بعد قتلهم والمتاجرة فيها

عبر أسواق تجارة الأعضاء الرائجة التي لا تجرمها إسرائيل ، وقد تزامن ذلك مع القبض على عصابة في الولايات المتحدة الأمريكية يقودها عدد من كبار الحاخامات ورجال الأعمال اليهود الذين ذكر أنهم على علاقة بالأمر وقد أكدت تحقيقات الإنتربول الدولى أن الأمر تجاوز فلسطين إلى إختطاف أطفال جزائريين تم إستخدام أعضائهم كقطع غيار ، كما قبض على عصابات في مصر وغيرها بتهم متشابهه . . وقد اعترف "يهودا هس" مدير مستشفى أبو كبير في مدينة يافا المحتلة في التحقيقات أنه تعاون مع السلطة الاسرائيلية في القيام باستئصال أعضاء الشهداء الفلسطينيين وبيعها في الأسواق العالمية .

شهداء مذبحة صبرا وشتيلا

******

ـ الفصل الحادى عشر ـ

قصص طريفة

حكى حمادى بلخشين من تونس:

في إحدى سفراتي المهنيّة إلى الجنوب التونسي، أراد زميلي الظريف جمال حمدي تهوين بعض مشاق السفر، فطفق يروي لي آخر ما بلغه من نوادر و نكت، حتى وصل به الحديث إلى ذلك اللئيم الذي مثل و صاحبه بين يدي السلطان فقال له الأخير: " تمنّ ما تشاء، و لكن اذا تمنيت شيئا فسأهب رفيقك ضعفيه، فقال اللئيم " أفقئوا عيني في الحال! " كل ذلك، حتى يصير صاحبه أعمى!

ما إن أتمّ صاحبي طرفته، حتى دوّت من خلفنا ضحكة صاخبة. . حين التفتنا إلى مصدر الصوت، رأينا رجلا عظيم الهامة متين البنيان قد وخط الشيب عارضيه ..كان يضحك ملء شدقيه، لكنه سرعان ما قطع ضحكه ليحتلّ ملامحه عبوس طارئ أعقبته زفرة حادّة. . بقيت و صاحبي واجمين، لم ندر أنعجب من عظم هامة الرجل أم من سلوكه الغريب و تحوله المفاجئ من الإنبساط إلى الإنقباض، و من الضحك الي العبوس الشديد.

كان الرجل يحتل الكرسي الخلفي من الحافلة.

صاح به زميلي جمال حمدي:

ــ تعال يا عمّ أجلس معنا.

حين نهض الرجل من مكانه راعنا طوله. . كان عملاقا حقيقيا. و لما اقترب منا هالنا رؤية هامته وقد كادت تلامس سقف الحافلة. أما حين صافحنا فقد طال تعجبنا من ضخامة يده(كانت يدي في يده كيد مولود جديد في يد شخص بال ..حيّانا بأدب جمّ

لم يكن يُنتظر ممن كان في فظاظة مظهره و رثاثة ثيابه . . قدّم نفسه بلهجته البدوية : عمكم منصور الهوّاري . أصيل مدينة قابس . . لكنني أقيم في الكريب، تاجر خضر في سوق أسبوعي عندي ولد واحد في سن الرابعة عشر .

سألته باسما: ما شاء الله، أهو في مثل بنيانك الهرقلي؟

أجابني ضاحكا: هو الآن في مثل قامتي غير أنني لا أدري بما تفاجئنا به الأيام !

كان صاحبي جمال أكثر مني جرأة، لأجل ذلك بادره قائلا: أخبرني عم منصور، ما السرّ في تحوّلك الفوري من الضحك إلى العبوس، و من البهجة إلى الحزن؟

أطلق عم منصور زفرة حرّى ثم قال: ذكّرتني طرفتك عن النذالة بمأساة حقيقيّة كنت أحد شهودها.

سكت عم منصور طويلا، حرّك رأسه يمينا و شمالا، تنهد ثم قال : لقد وددت، والله على ما أقول شهيد، لو كسرت رجلاي أو دقت عنقي و كنت في عالم الأموات حتى لا أشهد تلك المأساة.

قال ذلك، ثم أخرج علبة سجائر من النوع الرخيص . . عرض علينا سيجارتين، لكننا اعتذرنا شاكرين " نحن لا ندخن " هكذا قلنا له.

دسّ عم منصور سيجارته بين شفتيه ثم قال : هنيئا لكما يا ولديّ .

ثم وهو يبحث بين ثنايا ثيابه عن علبة الثقاب : لعنة الله على هذه الحشيشة، فقد كانت وراء كل ما حدث في ذلك اليوم.

حين إستأذننا عم منصور في التدخين، خجلنا من قول لا، خصوصا و أن السائق الذي كانت تعلو رأسه لافتة كبيرة كتب عليها " ممنوع التدخين " كان يدخن بشراهة! . . غير أن صاحبي جمال حمدي استأذن في فتح النافذة لتحديد أضرار النفثات

المرتقبة . . أشعل عم منصور سيجارته أخذ منها نفسا عميقا، ترك الدخان يتسرب من منخريه ثم قال: حدث ذلك في سوق بلدتنا . . كان ذلك منذ عقد من الزمان، في رابع أيام شهر الصّيام المعظم . . كان الوقت قبيل العصر بقليل، وكانت أعصاب الجميع : باعة و حرفاء جدّ متشنجة بفعل الامتناع القهري عن التدخين . . كان الجوّ المتوتر يذكّرك في كل لحظة و حين بالمثل الشعبي القائل " اذا بغيت البلاء من غير أصل، كلّم الصائم وقت العصر."

استمر عم منصور: لما كان حسونة بن رابح من أكثر الباعة إدمانا على هذه الحشيشة، فقد كان أكثرنا توترا و أشدنا قابليّة للإنفجار، لأجل ذلك كنا نحاول تجنبه قدر المستطاع . كان حسونة بن رابح قد دأب منذ عرفته على التخصّص في بيع اللبن ومشتقاته في كل مناسبة يحلّ فيها الشهر الكريم.

توقف عم منصور قليلا كي يدرك سيجارته قبل أن تخبو، أخذ منها نفسا طويلا ثم طفق يقول : رغم فظاظة الرجل وفقدانه الكليّ لأدب التعامل مع الزبائن، فقد عرف والحق أجدر بأن يقال، بنزاهته و نظافة يده وبعده عن الغشّ و الإحتيال . لأجل ذلك كان غضبه شديدا و ثورته جامحة حين مثل أمامه شابّ حديث السنّ زاعما أنّ اللّبن الذي اشتراه منه بالأمس كان مغشوشا، مما نتج عنه تبادل شتائم تلاها تشابك بالأيدي كاد ينتهي بما لا يحمد عقباه، لولا تدخل أهل الخير.

نزع عم منصور طربوشه، حكّ رأسه الأشيب ثم قال : كان حسونة بن رابح لا يزال تحت تأثير غضبه من الشاب السالف الذكر، حين أقبل عليه عمّار البرني : رجل في الخمسين صاحب متجر كبير لبيع الأقمشة . . رغم غنى عمار البرني، فقد اشتهر ببخله الشديد هذا بالإضافة الي ثقل دمه..

سكت عم منصور قليلا أطلق زفيرا حادا ثم اضاف:

ـــ ما لم نكن نعرفه عن عمار البرني قبيل الحادثة، انه كان نذلا من الطراز الأول.

ـــ طلب عمار البرني لترا من اللبن، فلبي طلبه فورا. ما ان حصل اللبن بين يديه

ثم علم أن ثمنه قد زاد عشر مليمات، وهو مقدار زهيد كما تعلمان، حتى رفض دفع تلك الزيادة الطفيفة.. ارتفع الصراخ بين البائع و المشتري حتي جمع الناس حولهما.. كان حسونة بن رابح يصيح كمن به مسّ من الجنون: " و الله لن تذوق لبني ولو دفعت ثمنه مضاعفا" . وكان الزبون يردّ بكل خسّة، (خصوصا و هو الغني الموسر): " والله لأذوقنّه غصبا عنك. و بالثمن الذي أريده"! تنهد عم منصور ثم قال بلهجة حزينة:

ـــ رغم محاولتي إقناع عمّار البرني بأنّ الزيادة قانونية، فقد رفض تصديقي و أصرّ على موقفه، كما رفض أيضا (و على غير عادته) تطوّع أحد الحاضرين بتسديد الفارق موضوع الخلاف، وكان موقفا عجيبا من ناحيته !

ضحك زميلي جمال حمدي ثم قال موجها خطابه لعم منصور : اسمح لي على المقاطعة، فعلا هو موقف عجيب اذا صدر من بخيل، و قد ذكّرني هذا بموقف يهودي واسكتلندي

خبط زميلي جمال حمدي فخذه بكفه، شرع يضحك، ثم واصل:

ـــ ذات مرة سأل محقق أحد الشهود: و لكن كيف عرفت ان اليهودي والأسكتلندي كانا في حالة سكر حين مرّا بك؟ أجاب الرجل: لأن الأول كان يلقي بحافظة نقوده و كان الثاني يرجعها إليه في كل مرّة !

ضحكت طويلا لطرفة زميلي جمال غير أن عم منصور ظل صامتا، مما حمل زميلي جمال حمدي على الإعتذار حين لمس جديّة الرجل و تأثره بما كان بصدد روايته.

ما أن فرغت من ضحكي حتى طفق عم منصور يقول:

ـــ حينئذ اشتعل غضب حسونة بن رابح، انفلت نحوعمار وهو يصيح: " بل أسكبه على الأرض ولا تشرب قطرة منه" . حلت بين حسونة بن رابح الذي اندفع كثور هائج و بين الوصول الى زبونه اللئيم، خشيت أن يتصادما. ويا ليتني لم أفعل . القى عم منصور بعقب سيجارته على أرضية الحافلة، سحقها بقدمه.

مسح شاربه بكفه الأسطورية ثم قال بنبرة يغلب عليها الحزن و الأسى:

ـــ كنت مسيطرا على حسونة بن رابح حين كان يحاول دفعي وهو يصيح بغريمه " أم أولادي طالق لو شربت من لبني قطرة واحدة."

كان الزبون النذل على بعد مترين منا بفعل تكاثر الناس من حولنا و إجتماعهم علينا، حين بلغني صوته من ورائي و هو يقول لمن حوله: "هل تشهدوا يا رجال أنّ زوجته طالق لو شربت منه قطرة واحدة "؟ صاح به حسونة بن رابح وهو يجاهد كي ينفلت من قبضتي :

قاطعه زميلي جمال ضاحكا:

ـــ سامحك الله يا عم منصور، ومن يستطيع الإفلات من قبضتك؟ ..

ثم اردف مقهقها:

ـــ أراهن بحياتي أن مايك تايسن نفسه يعجز عن ذلك!

تأثر عم منصور منعه من إبداء أي تعليق عما قاله زميلي جمال حمدي، لأجل ذلك استمر يقول:

ـــ صاح حسونة بن رابح وهو بين يديّ "أم أولادي طالق ثلاثا لو شربت منه قطرة واحدة" !

في تلــك اللحظــة الكارثيــة بلغــتني همهمــة ســرت بــين الحضــور لم أميّــز منها إلا حوقلة البعض و تكبير البعض الآخر! . . قبل أن أتمكّن من الإلتفـات ورائـي، قرأت المأساة على وجه أسيري الذي تحوّل في لمح البصـر مـن حمـرة الغضـب الى صـفرة الموت، قبل أن يتهاوى بين يديّ كجثة هامدة.

زفر عم منصور زفرة حرّى، إستغفر الله العظيم مرتين، سكت بعدها طويلا، تنهد ثم قال :

ــ حين التفت ورائي، رأيت النذل الأعظم ملطخ الشاربين باللبن!

صحنا بصوت واحد:

ــ هل شرب اللبن؟!

طأطأ عم منصور رأسه، حركه مرتين ثم رفعه و قد كست وجهه سحابة حزن :

ــ أجل يا ولديّ!

ثم معقبا:

ــ لقد ضحّى النذل بفطر يوم في رمضان من أجل خراب بيت الرجـل و طـلاق أم أولاده!

عقدت المفاجأة لسان زميلي المهذار جمال حمدي الى حد الزمته الصمت!

في حين قلت متعجبا:

ــ لم أكن أتصور قط أن تبلغ النذالة بانسان ما إلى هذا الدرك الأسفل.

استمر عم منصور بلهجة متاثرة بحزنه العميق:

ـ حينئذ غلت الدماء في عروق عمكم منصور . . نثرت ما كان بين يديّ من رجال كانوا يحولون بيني و بين ذلك النذل ثم اندفعت نحوه . . قبل أن أصل إليه ، دوّى صوت المؤذن لصلاة العصر ، بيد أن ذلك النداء السّماوي لم يحل بيني و بين قراري.

هتف صديقي جمال حمدي مستعجلا :

ـــ ماذا قررت يا عم منصور؟

اجاب عم منصور و قد سرح بصره:

ـــ لقد حدّثتني أمّارتي بالسّوء ، أنّ قتل ذلك النذل هو أفضل ما يمكن أن يتقرّب به عبد مؤمن إلى ربّه في الشهر المبارك!

كنا نضحك حين تابع عم منصور متجهما:

ـــــ لأجل ذلك لم أشعر إلاّ بيسراي وهي تقتلع النذل من الأرض وترفعه عاليا في مستوي كفيّ المرتجفة.

سكت عم منصور لحظات سمعنا خلالها نفسه وهو يتردد بين جنبيه في حين أخذ صدره يعلو و ينخفض من شدة تاثره حتى كانه يعيش الحدث الجلل ثانية .

ما أن هدا قليلا حتى استمر قائلا:

ـــــ لحظة هممت بلطمه ، تذكرت ثكل أمّي و غربة إبنة عمّي و تشرّد ولدي من بعدي ، فلعنت الشيطان الرجيم.

ضحك زميلي جمال حمدي ثم قال معلقا:

ـــ خيرا فعلت يا عم منصور.

ثم معقبا :

ــ لقد وفّرت على الداخلية التونسية مشقة صنع مشنقة إستثنائية ستظل معطلة من بعدك!

استمر عم منصور يقول:

ــ لكن قلبي لم يطاوعني على ترك النذل يذهب ببلاش قلت في نفسي "جعل الله بلاءه على غير يديّ!" لأجل ذلك اكتفيت بلطمه كما تعودت لطم ولدي الصغير و أنا أهارشه! لكنني لم أتصوّر قط أن لطمتي ستبيقه رهين العناية المركّزة!

سأله زميلي جمال حمدي مستحلفا :

ــ كم بقي هناك بالله عليك؟

لأول مرة منذ شروعه في سرد المأساة، تبسّم عم منصور ثم أجاب:

ــ لقد لطمته في الرابع من شهر الصّيام، فلم يفق إلاّ مع رجوع آخر حجيج قريتنا من بيت الله الحرام!

كنا مغربين في الضحك حين واصل عم منصور يقول:

ــ لقد ظل النذل أربعة أشهر وهو يصارع الموت قبل أن يثوب إلى وعيه!

سكت قليلا ثم أضاف:

ــ كما مكثت في السجن ثلاثة أضعاف ما قضى وبش الأوباش في غرفة الإنعاش!

أوسلو ٩/ ٨/ ٢٠٠٩ (حمدى بلخشين ـ نادى الفكر العربى)

******

سلط موقع "ديلى بيتس" الأمريكى الضوء على قصص للاجئين سوريين اضطروا إلى المتاجرة بأعضائهم

ويشير الموقع في تقرير أعده " بيل كوتساسوس " إلى أن عمليات بيع الأعضاء تجرى في لبنان حيث العدد الأكبر من اللاجئين السوريين تقول أم معزز إتها باعت كليتها لتدفع رشوة لقوات الأسد لتطلق سراح زوجها ولكن بعد خروجه من السجن تركها زوجها وعمرها ٣٧ سنة ولديها ولدين في سن المراهقة وتزوج إمرأة غيرها . . كانت أم معزز قد قبضت ثمن كليتها ١٣ ألف دولار ، (موقع سوريتى)

******

نذالة صديق:

يحكى عبد الله عن نذالة صديقه معه فيقول : تزوجت منذ عامين وكنت سعيدا جدا مع زوجتى التي رُشحت لى من قبل أهلى ، وكنت منبهرا بها ، وكان صديقى الوحيد الذى أحكى له كل شئ، ويأتى لزيارتى ،وكنت أمتدح طعامها وذوقها وحتى جمالها أمامه ولكن للأسف ثقتى بغير محلها ، لأنه أصبح في كل زيارة لى يحاول أن يشككنى بزوجتى من خلال قصص يذكرها عن النساء اللاتى يدعين الطيبة وخيانتهن واستغلالهن لأزواجهن ، وغيرها من الأمور مما أثر على وجعلنى أشك بها ، وبدأت المشاكل تنشب بيننا من غير أسباب واضحة ، وتطورت الحالة إلى أن نشب بيننا ذات مرة خلاف كبير ، وذهبت إلى بيت أسرتها وطلبت الطلاق ، وحذرتنى من صديقى واعتبرتها حاقدة عليه لأنه كشف لى حقيقتها ، لكن بعد طلاقى لزوجتى لم يعد صديقى يتواصل معى كما كان ، وعندما أدعوه يحاول أن يتهرب من مقابلتى لفترة فاستغربت الأمر ، وبعد مضى خمسة أشهر على طلاقنا ، أرسلت طليقتى رسالة عبر هاتفى المحمول تخبرنى بأن شخصا تقدم للزواج منها ورفضته ، وكانت الصدمة عندما أخبرتنى من هو ، إنه صديقى المخلص ، وهنا اتضحت لى الكثير من الأمور . وقررت أن أنتقم منه فأتصلت به وطلبت منه أن يحدد لى موعد لخطبة شقيقته وبعد عقد القران طلقتها بدون

أسباب وفوجئ صديقى وحضر لى منزلى يترجانى ويقول "إن والده سيطرده من المنزل، لأنه أمتدحنى أمامه ولم أكن على قدر المسئولية" ولكننى لم أهتم. (ذكيه البلوشى – الرياض ـ موقع / سيدتى)

******

المراجع

١ . القرآن الكريم

٢ . فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ـ محمد بن اسماعيل البخارى

٣ . تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام ـ الدكتور محمد عمر شاهين

٤ . أيام العرب فى الجاهلية ــ محمد أحمد جاد المولى بك، على محمد البجاوى، ابو الفضل ابراهيم

٥ . البداية والنهاية الاجزاء (الرابع إلى الرابع عشر ــ الإمام الحافظ ابى الفداء ابن كثير .

٦ . تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) ـ ابن جرير الطبرى

٧ . تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادى

٨ . الفخرى فى الآداب السلطانية ـ محمد بن الطقطاقى

٩ . التاريخ الإسلامى ـ د/ راغب السرجانى

١٠ . التاريخ الإسلامى ـ محمود شاكر شاكر

١١ . تاريخ العرب الحديث والمعاصر ـ د حمدنا الله مصطفى حسن محمد

١٢ . تاريخ الدولة الفاطمية(فى المغرب ، ومصر، وسوريا، وبلاد العرب) ـ دكتور حسن ابراهيم حسن

١٣ . الثورات الشعبية فى مصر الاسلامية ـ د/ حسين نصر

١٤ . العراق أرض الحضارات ـ د/ حمزة سالم دبج الشهرى

١٥ . تاريخ عصر المماليك ـ عبد الرحمن الرافعى

١٦ . الإحتلال الفرنسى للجزائر : من خلال نصوص معاصرة ـ جمع وتقديم محمد الهادى الحسنى

١٧ . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ـ د/ عبد العزيز الشناوى .

١٨ . قيام الدولة العثمانية ـ محمد فؤاد كويريلى

١٩ . واقعنا المعاصر ـ محمد قطب

٢٠ . عباقرة هزموا اليأس ـ فايز فرح

٢١ . المختار من تاريخ الجبرتى ـــــــ عبد الرحمن الجبرتى

٢٢ . ثورة ١٩١٩ (تاريخ مصر القومى من ١٩١٤ـ١٩٢٤م) ـ عبد الرحمن الرافعى

٢٣ . ثورة ١٩١٩ القوى الاجتماعية ودورها ـ رفعت السعيد

٢٤ . مذكرات سعد زغلول (الجزء الثانى) ـ تحقيق عبد العظيم رمضان

٢٥ . الروح الوطنية المصرية فى ثورة ١٩١٩ ـ د/ محمد عفيفى . . الموسوعة الثقافية للشباب (العدد ١٣)

٢٦ . مصر من نافذة التاريخ ـ جمال بدوى

٢٧ . نشأة الروح القومية المصرية (١٨٣٦ـ١٨٨٢) ـ تأليف محمد صبرى السوربون ـ ترجمة ناجى رمضان عطية

٢٨ . معارك فاصلة فى التاريخ الاسلامى ـ الدكتور عبد المنعم خفاجى والدكتور عبد العزيز شرف

٢٩ . الهاشميون وقضية فلسطين ـ انيس صايغ

٣٠ . الثورة العربية الكبرى (الجزء الأول) ـ أمين سعيد

٣١ . أعمـدة الحكمـة السـبعة (Seven Pillars of Wisdom)ـ تومـاس ادوارد لورانس . . ترجمة هشام خضر

٣٢ . الطريق الى بيت المقدس (الجزء الثانى) ـ د/ جمال عبد الهادى

٣٣ . عبد الله النديم(خطيب الوطنية) ـ على الحديدى

٣٤ . سيناء من أحمس إلى السادات ـ أحمد أبو كف

٣٥ . صبرا وشاتيلا المذبحة ـ صفاء حسين زيتون

٣٦ . صبرا وشاتيلا ـ بيان نويهض الحوت

٣٧ . فلسطين : تاريخ شخصى ـ تاليف كارل صباغ . . ترجمة محمـد سـعد الـدين زيدان

٣٨ . الموساد واغتيال يحيى المشد ـ عادل حموده

٣٩ . وحدى فى باريس ـ توحيد مجدى

٤٠ . سقوط عصر الجواسيس ـ طلعت المرصفى

٤١ . العديد من المواقع الإلكترونية

٤٢ . ويكيبيديا ـ

٤٣ . المعرفه ـ

٤٤ . صيد الفوائد ـ

٤٥ . موقع قصة الاسلام ـ د/ راغب السرجانى) وغيرها

فهرس المحتويات

إهْداء	٣
الفصل الأول	٥
تعريف النذالة	٥
أقوال في النذالة	٥
نذالة الحيوانات	٦
أخوة يوسف	٧
نذالة قبل الأسلام	٨
بعض قصص النذالة في ذلك الوقت	٩
الفرس والروم	١١
"الروم"	١١
"الفرس"	١٢
يهود بنى قريظة	١٣
العرنيين	١٦
الفصل الثانى	١٧
مقتل عثمان	١٧
شيعة علي	١٨
واقعة الحرة	٢٠
الحجاج بن يوسف الثقفى	٢١
الفصل الثالث	٢٧
خلافة العباسيين	٢٧
يحيي بن محمد	٢٨
أبى جعفر المنصور	٢٩
كيف تصرف المنصور مع آل البيت	٣٠

كيف تصرف المنصور مع عمه	٣٢
نذالة أم	٣٢
نقفور ملك الروم	٣٥
خلافة المأمون	٣٥
ماذا فعل المأمون بعد ذلك؟	٣٧
بابك الخزمى	٣٩
المعتصم وقضية خلق القرآن	٤٠
المنتصر بالله	٤٣
الفصل الرابع	٤٥
"ثورة الزنوج"	٤٥
القرامطة	٤٧
القاهر بالله	٥٠
نقفور الدمستق	٥١
البوهيون	٥٢
الفصل الخامس	٥٥
الحاكم بأمر الله	٥٥
"حملة الامراء"	٥٩
العلقمى	٦٠
المغول	٦٠
تيمورلنك	٦٦
الصفويون	٦٧
الفصل السادس	٦٩
المماليك	٦٩
الدولة العثمانية	٧١

نابليون بونابارت	٧٣
نابليون في مصر	٧٤
نابليون في الشام	٧٥
محمد علي باشا	٧٦
الفصل السابع	٨١
فرنسا في الجزائر	٨١
حادثة المروحة	٨٢
بعض جرائم الإحتلال الفرنسى	٨٣
مجزرة سطيف الرهيبة	٨٦
مجزرة ملعب فيليب فل	٨٧
الإعتداء على المساجد	٨٨
الدول العظمى	٩١
حرب الافيون	٩٣
الإحتلال البريطانى لمصر	٩٤
حادثة دنشواى	٩٨
ثورة ١٩١٩م	١٠١
الفصل الثامن	١٠٩
لورانس العرب	١٠٩
اتفاقية سايكس بيكو	١١٣
الإحتلال الإيطالى لليبيا	١١٥
الفصل التاسع	١١٧
عملية أبو الهول وقتل الدكتور يحي المشد	١١٧
تنفيذ عملية أبو الهول	١٢٥
مقتل الدكتور يحى المشد	١٢٧

أمريكا	١٢٩
الفصل العاشر	١٣١
إسرائيل	١٣١
جرائم إسرائيل	١٣٤
مذبحة صبرا وشاتيلا في ١٦ سبتمبر ١٩٨٠م	١٣٤
مذبحة دير ياسين ٩ ابريل ١٩٤٨م	١٣٥
الفصل الحادى عشر	١٣٧
قصص طريفة	١٣٧
حكى حمادى بلخشين من تونس	١٣٧
نذالة صديق	١٤٥
المراجع	١٤٧
فهرس المحتويات	١٥٠